العصبة المؤمنة

حقوق الصورة martinm303،حشد من رهبان بوذيين

رحمة حسام

مبادرات طابة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

ع
ورقة بحثية رقم (١١) | مسلسل رقم (١٧) ٢٠٢١

العصبة المؤمنة

محفوظة جميع الحقوق

مُبَادَرَاتُ طَابَة
TABAH INITIATIVES
www.tabahinitiatives.org

الكِتَابُ: العصبة المؤمنة

البَاحِثة: رحمة حسام.

النَّاشِرُ: مؤسسة طابة.

سَنَةُ الطِّبَاعَةِ: ٢٠٢١م.

بَلَدُ الطِّبَاعَةِ: القَاهِرَةُ، مِصْر

المَقَاسُ: ١٧ × ٢٤

التَرْقِيمُ الدَوْلِيُّ: ٩٧٨-٩٩٤٨-٨٦٠٧-٧-٨

جميع الحقوق محفوظة ، يمنع إنتاج أو توزيع أي جزء من هذا الإصدار بأي وسيلة دون موافقة خطية صريحة من مؤسسة طابة ، إلا في حالات الاقتباس المختصر مع العزو الدقيق ، والكامل في المقالات النقدية ، أو المراجعات .

www.tabahfoundation.org

العصبة المؤمنة

البَاحِثَةُ

رحمة حسام

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن مؤسسة طابة:

هي مؤسسة غير ربحية تُعنىٰ بالإسهام في إعادة تأهيل الخطاب الإسلامي المعاصر للاستيعاب الإنساني، وتعمل سعيا نحو رسالتها علىٰ تقديم أبحاث ومبادرات واستشارات وتطوير كفاءات.

نبذة عن مبادرة سند:

«مبادرة سند هي مبادرة مجتمعية تواصلية عبر اصداراتها المرئية والمقروءة وفعالياتها المباشرة، تهدف إلىٰ معرفة وتسليط الضوء علىٰ اقوال وأفكار الإسلاميين المنحرفة والرد عليها بالحجة والبرهان لتصحيح المفاهيم المغلوطة مما يحفظ علىٰ الناس دينهم».

إصدارات أخرى من مبادرة سند (مطويات)

١- الوطن .

٢- المسلم و الإسلامي .

٣- التترس .

٤- أنا متعصب .

٥- رفع الالتباس (أمرت أن أقاتل الناس) .

٦- وقولوا للناس حسنا.

٧- الولاء و البراء .

٨- وصايا النبي في الحرب .

٩- شرعنة الفحش .

١٠- يا كافر .

١١- الاستشهاد .

١٢- التعامل مع المخالف .

١٣- الاستعلاء .

إصدارات أخرى من مبادرة سند (أبحاث)

١- الجاهلية .

٢- حتمية الصدام .

٣- التمكين .

٤- الولاء والبراء .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام علىٰ سيِّدِنا رسول الله، النَّبيِّ المُصطفَىٰ، والنُّور المُجتبىٰ، الهَادِي إلىٰ الصِّرَاط المُستقيم، والشَّفيع يومِ الدِّين، وعلَىٰ آله وصحبِه أجمعينَ.

أمَّا بعدُ، يجيء هذا البحث كحلقة وصلٍ، في سلسلةٍ من الأبحاثِ، الَّتِي تتناولُ منطلقَات الفكر التكفيريِّ بالتَّفنِيد، والنَّقد المُستنِد إلَىٰ مصادر العلوم الشرعيَّة المُعتمدة. هذه المنطلقاتُ قد حصرها بعضُ الباحثين علَىٰ سبيل التَّقسِيم والتَّنظِيم في سبعةِ منطلقاتٍ: الحاكميَّة، والجاهليَّة، والولاء والبَرَاء، والفِرقَة النَّاجية (العُصبَة المؤمنة)، والاستِعلاء، وحتميَّة الصِّدام، والخِلافة والتَّمكِين.

وإن بَحْثَنَا هذا يتناول منطلقَ (العُصبَة المُؤمِنة) في سياق ارتباطه بغيرِه منَ المُنطَلَقات، مِن حيثُ كونُه نَاتج عن بعضِها، أو نقطة انطلاق لغيره من المفاهيمِ.

وقد جاء البحثُ في أربعة فصول. نتناول في أوَّلِها دراسةَ المُنطلَق من حيثُ اللغةُ، والدلالةُ اللفظيةُ والمعنىٰ الاصطلاحيُّ في أدبيَّات الفكر

التكفيريِّ. والفصل الثاني، نتناول فيه المُنطلَقات التي مهَّدَت له، وهما الحاكميَّة والجاهليَّة. وقد تمَّ تناولهما في رؤيةٍ محددةٍ تخدمُ الهدفَ الأساسيَّ من البحثِ وتَتَّسقُ مع رؤيتِهِ الكليَّة. ويجئ الفصل الثالث ليناقش الإشكال الرئيسي المطروح في البحث، وهو تبلور منطلق العُصبة المؤمنة في الأدبيَّات التي تستند إليها الجماعات الإرهابيَّة المسلَّحة، واخترنا التركيزَ علىٰ مؤلفات سيِّد قطب، نستقي منها الملامح الرئيسيَّة لهذه العصبة كما رَسمَها، ونُمهِّد من خلال طرحنا لما يلي من مُنطلقاتٍ يتناولُهَا آخرون بالبحث إن شاء الله. وفي الختام، يُسلِّط الفصلُ الرابعُ الضوءَ علىٰ بعض جوانب الخلل التي نتج عنها تلك الأُطرُوحات التي تخلو من الموضوعيَّة، والتي لا تَتَّسق مع مُخرجات المنهج العلميِّ السليم في التعاملِ معَ النُّصوصِ. نسألُ المولىٰ عزَّ وجلَّ، أن يهدينا سبلَ السَّلامِ، ويوفِّقُنا لما يُحبُّ ويرضىٰ.

الفصلُ الأوَّلُ

العُصبةُ المُؤمِنة: اللُّغَة، والدَّلالةُ، والاصطلاحُ

اللُّغةُ:

جاء في لِسان العَرَب[1]:

العُصْبةُ والعِصابةُ: جماعةٌ ما بين العَشَرة إلىٰ الأربَعين. وَفِي التَّنزيل العزيز: ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف: ٨]. وكلُّ جماعةِ رجالٍ وخيلٍ بفُرْسانِها أَو جماعةِ طيرٍ أَو غيرها: عُصْبة وعِصابَةٌ.

وفي المُعجَم الْوَسيط[2]:

العُصْبةُ: الْجَمَاعَةُ منَ النَّاس أَو الْخَيلِ أَو الطَّيرِ، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيزِ ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦].

إذن يمكنُنَا القول أنَّ العُصبَة المؤمِنَة تعنِي في اللُّغَةِ: الجماعةُ المُؤمنَةُ، وإن كان في اللَّفظِ إشارة إلىٰ قِلَّة العددِ، بخلافِ لفظِ الجماعةِ.

الدّلالَةُ:

يُعرِّف الأصفَهَانِيُّ الدَّلالةَ اللَّفظيَّةَ بقولِه: **اعلم أنَّ دلالة اللَّفظِ عبارة**

(١) لسان العرب/ ط ٢٠٠٣/ ج ١٠/ ص ١٦٧.

(٢) المعجم الوسيط / ط ٢٠١٣/ ص ٦٢٥.

عن كونِه بحيث إذا سُمِع أو تُخُيِّل لاحَظَتِ النَّفسُ معناهُ[1]. ونحن هُنا إذ نتحدث عن مفهومِ العُصبَةِ المُؤمِنَةِ أوِ الجَمَاعةِ المُؤْمِنةِ، يَجدُر بنا أنْ نُجيب عنِ السُّؤَالِ التَّالِي:

ما الَّذِي يقتضيه إطلاق لفظِ الإيمانِ عند المُتَلقِّي منَ المسلمين حين تُذكَرُ أَمامَه الجماعةُ المؤمنةُ؟

الجوابُ يتَضَّمن مفهومُ الإيمانِ، كما جاء في الكِتاب والسُنَّة، وكما تناوله بالإيجازِ وبالتَّفصِيل علَماء العَقيدَةِ في كُتُبِهم. ومِن فَضل الله علَىٰ هذه الأُمَّة أنَّ مفهومَ الإيمانِ في العقيدة الإسلاميَّة يمتازُ بالوضُوح وعدمِ التَّعقِيد، رغم وجود بعض الاختلافاتِ غير المؤثِّرَة عند أهل العلم، مما جعل بلوغه أفهام المسلمين لا يتعذَّر مهما بلغت بساطةُ مستوياتهم التعليميَّة والفكريَّة. ولسنا هنا بصددِ تفنيد الاختلافات، وإنما نُقِرُّ ما اجتمعوا عليه، وما يتفق مع المعنىٰ اللُّغوي والدّلالة اللَّفظيَّة لكلمة (الإيمان)، من أن الإيمان كما جاء في «بيان عقيدة أهل السنة والجماعة» للإمام الطَّحَاوي[2]:

(هُوَ الإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ وَالتَّصْدِيقُ بِالجَنَانِ. وَجَمِيعُ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ الشَّرْعِ وَالبَيَانِ كُلُّهُ حَقٌّ. وَالإِيمَانُ وَاحِدٌ، وَأَهْلُهُ فِي

(١) بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب) / ج١/ ص ١٢٠. تحقيق د. علي جمعة. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة ط ٢٠٠٤م.

(٢) متن العقيدة الطحاوية – دار ابن حزم – ط ١٩٩٥.

أَصْلِهِ سَوَاءٌ وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ بِالخَشْيَةِ وَالتُّقَىٰ وَمُخَالَفَةِ الهَوَىٰ وَمُلَازَمَةِ الأَوْلَىٰ. والمُؤْمِنِينَ كُلُّهُمْ أَوْلِيَاءُ الرَّحْمَنِ، وَأَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللهِ أَطْوَعُهُمْ وَأَتْبَعُهُمْ لِلقُرْآنِ).

ثم يُفصِّلُ أركانَ الإيمانِ فيقول:

(وَالإِيمَانُ هُوَ الإِيمَانُ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وَالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَحُلْوِهِ مَا جَاءُوا بِه).

ويقول:

(وَنُسَمِّي أَهْلَ قِبْلَتِنَا مُسْلِمِينَ مُؤْمِنِينَ، مَا دَامُوا بِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعْتَرِفِينَ، وَلَهُ بِكُلِّ مَا قَالَهُ وَأَخْبَرَ مُصَدِّقِينَ غَيْرَ مُنْكِرِينَ).

وهذا القدرُ المشترك الذي يُمثِّل أصولَ الإيمانِ قد بيَّنه الله تعالىٰ في آياته الكريمة:

﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد جمَعَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذهِ الأصولَ في جوابه عَلَىٰ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حينَ سأَلَهُ ما الإيمانُ؟ فَأجابَ:

«الإيمانُ: أنْ تُؤمِنَ باللهِ وملائكتهِ، وكُتبهِ، ورُسُلِهِ، واليومِ الآخِرِ، وَتؤمنَ بالقَدَرِ خيرِه وشرِّه». [رواه البخاري ومسلم].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَن صَلَّىٰ صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الَّذِي له ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِهِ»** [رواه البخاري].

والذي قَصدنَاه مِن إيراد هذِه النُّصُوص تَقرِير المعنَىٰ الشَّرعِي السَّلِيم للإيمان، ومِن ثَمَّ تكون دلالة مفهومِ العُصبَةِ المُؤمِنَةِ الَّذِي نُعنَىٰ به في بحثِنا، أَنَّها الجماعة المُتَّصفة بما تقرَّرَ من تعريف الإيمان، وهي تشملُ عمومَ المسلمين. ونريدُ من وراء ذلك التَّفرقةَ بين دلالة اللَّفظِ الموافقةِ للشَّرع، وبين اصطلاحِهِ في أدبيَّات الفِكر التكفِيرِيِّ، الَّذِي نُورِدُه في المَطْلَب التَّالي لِبَيانِ المُفَارَقة.

الاصطِلاحُ:

بالرُّجوع إلىٰ مبحثِنَا الأساسيِّ، وهو مفهوم العُصبة الْمُؤمنة عندَ أصحاب الفكر التكفيريِّ، نجدُ أنَّ هذا المفهوم وَرَدَ بلفظه مُكثَّفًا في كتِابات سيِّد قطب، وبالأخَصِّ كتابيه «في ظلال القرآن» و«معالم في الطريق». ثم توالت من بعده الكتابات التي تبنَّت المفهومَ، وأسهبَت فيه وأوغلتْ، وقد

تبنَّت كذلك غيرَه من المفاهيم التي رسَّخَها، وشَكَّلت المُنطَلَقات الرَّئِيسِيَّة لجماعاتِ الفكر التكفيريِّ والإرهاب المُسلِّح اليوم. ولقد استخدم سيِّد قُطب كذلك مُصطلحَيْ (العُصبَة المُسلمة) و(الطَّلِيعة المؤمنة)، في السِّيَاقات ذَاتِها، قاصدًا نفْسَ المعنىٰ.

لقدِ استخدَم سيِّد قُطب المصطلح في سياقين مختلفين:

السِّيَاق الأوَّل: ويشير فيه بالعُصبة المؤمنَة إلىٰ القِلَّة التي دخلت في الإسلام، والتَفَّتْ حولَ النَّبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وناصرته في بَدء الدعوة، ومثَّلَت النَّواةَ للأُمَّة المسلمة والمجتمع الإسلامي.

يقول في تفسير سُورة الأنفال:

«**لقد ردَّ الله الأنفالَ كُلَّها إلىٰ الله والرسول، ليعيد الرسول صلىٰ لله عليه وعلىٰ آله وسلم قسمتها بينهم علىٰ السواء -بعد استبقاء الخُمْس الَّذِي ستأتي فيما بعد مصارفه - ذلك لتخلص نفوس العصبة المؤمنة من كل ملابسات الغنيمة، فيمتنع التنازع عليها، ويصير حق التصرُّفِ فيها إلىٰ رسول الله كما يُعلِّمُه الله، فلا يبقىٰ في النُّفُوس من أجلِها شيء**»[1].

وهذا السياق ليس موضعًا للإشكال المَطروح هنا في البحث.

السياق الثاني: ونجده فيه يشير بالعُصبة المؤمنة إلىٰ القِلَّة المؤمنة اليوم، التي تُشكِّل النواة لبعثة هذا الدِّين من جديد، في مُقابل الجاهليَّة التي

(١) في ظلال القرآن ط ٢٠٠٣ / ج ٢ / ص ١٠٥٦.

تَعمُّ الأرض، بما فيها الدِّول الإسلاميَّة، الَّتي تتسمَّىٰ بالإسلام وليس لها منه نصيب إلا اسمه حسبَما يزعُم في مواضعَ كثيرةٍ. يقول:

«وإن العُصبة المؤمنة اليومَ لَخَلِيقةٌ بأن تقفَ أمام هذا الدَّرسِ الرَّبانيِّ فيها وقفَةً طويلةً. إن هذه العُصبة تواجه اليوم من الجاهليَّة الشَّاملة في الأرض، نفس ما كانت تواجهه العُصبَة التي تنزلت عليها هذه الآيات، لتحدد علىٰ ضَوئِها موقِفَها، ولتسير علىٰ هذا الضوء في طريقها؛ وتحتاج - مِن ثَمَّ - أن تقف وقفَةً طويلةً أمام هذه الآيات، لترسم طريقها علىٰ هُداهَا»[1].

«لقدِ استدار الزَّمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلىٰ البشرية بلا إله إلا الله. فقد ارتَدَّت البشريةُ إلىٰ عبادة العِباد، وإلىٰ جَوْرِ الأديان؛ ونَكَصَت عن لا إله إلا الله، وإنْ ظلَّ فريقٌ منها يُرَدِّد علىٰ المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يُدرك مدلولَها، ودون أَن يعنِي هذا المدلولُ وهو يردِّدها، ودون أن يرفض شرعيَّة «الحاكمية» التي يدَّعيها العِباد لأنفسهم - وهي مرادف الأُلُوهيَّة - سواء ادَّعُوها كأفراد، أو كتَشكِيلَات تشريعية، أو كشعوب. فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكميَّة، إلا أنَّ البشريَّة عادت إلىٰ الجاهليَّةِ، وارتدَّت عن لا إله إلا الله، فأعطتْ لهؤلاءِ العبادَ خصائصَ الألوهيَّةِ. ولم تَعُدْ توحِّد الله، وتُخلص له الولاء. البشريَّة بجُملتها، بما فيها أولئك الذين يُردِّدُون علىٰ المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات «لا إله إلا الله» بلا مدلول ولا

(١) المرجع السابق ص ١٠٥٧.

واقع، وهؤلاء أثقلُ إثمًا وأشدُّ عذابًا يومَ القيامة، لأنهم ارْتدُّوا إلىٰ عبادة العباد - مِن بعد مَا تبيَّن لهم الهُدىٰ - ومِن بعد أن كانوا في دِين الله!»[1].

ومن خلال النَصَّيْن السابقين، يتحدث سيِّد قطب بمُقتَضىٰ مجموعة من الافتراضات، نستخلصُ من خلالِها مقصودَه بالعُصبة المُؤمنة:

١- إن الألوهية عند سيِّد قطب ترَادِفُ (الحاكميَّة)، وبغيرِها لا يكون إيمان، سواء علىٰ المستوىٰ الفردي أو المستوىٰ المجتمعي.

٢- ارتَدَّتِ البشريَّةُ بأسرها إلىٰ الجاهليَّة، حتىٰ أولئك الذين يردِّدُون لا إله إلا الله فوق المآذن.

٣- العُصبَةُ المؤمنة هي الجماعةُ التي تدخل في هذا الدِّين من جديد، بالمفهوم الَّذِي يُقرُّه، فتُفارِق بذلكَ الجاهليَّةَ، ويَحِقُّ لها الاتصاف بالإيمان.

هذه الأُطرُوحة المليئةُ بالإشكالَات، المُوغِلة في تكفير المسلمين، تترتب فرضياتها علىٰ بعضِها البعضُ. فالفَرضيَّة الأولىٰ تطرحُ رؤيةً مبتدَعةً لتعريف الإيمان، بخلاف تعريفه الراسخ كما تقدَّم في المطلب السابق. ثم يترتب عليها عنده تجهيل المسلمين وتكفيرهم لمخالفتهم تعريفه الذَّاتي للإيمان. ثم تجيءُ الدَّعوةُ للإسلام من جديد بعد غيابِه، وذلك علىٰ يدِ العُصبة التي تتبَنَّىٰ فِكرَهُ وجَعَلَ لها استحقاق وصف الإيمان، وتشكل اللَّبِنَة الأُولىٰ لبناءِ المُجتَمعِ الإسلاميِّ الجديدِ.

(١) في ظلال القرآن / ص ١٠٥٧.

وفي الفصل التَّالي، نُناقشُ -بإذن الله- هذه الفرضيَّات الباطلة، ونبيِّنُ أوجهَ العَوَارِ الفكريِّ، الَّذِي أَفرَزَ ما نَراهُ حولَنَا من عشرات الجماعات، التي تزعُم احتكار الإيمان، وتُكفِّرُ المسلِمينَ وتُكفِّرُ بعضَها البعضَ، وتنطَلِق مُستَبِيحةً كلَّ مُحرَّم، في سبيل دعوتهم الزائفة.

❁❁❁

الفصلُ الثَّانِي

المُنطلقاتُ المُمهِّدةُ: الحاكميَّة والجاهليَّةُ[1]

١- الحاكميَّةُ:

يُعدُّ منطلقُ الحاكميَّة اللَّبِنة الأساسيَّةُ التي بَنَىٰ الفكرُ التكفيريُّ عليها صَرْحَه، فجَاءَت بقيَّةُ المُنطلَقات مُترتِّبةً عليه. وَيرْجِع السَّبق في ابتِدَاع المُصطَلح إلىٰ أبِي الأَعلَىٰ المودوديِّ ومِن بعدِه سيِّد قطب الَّذِي تأثَّر به تأثُّرًا بالغًا، فتلقَّفَ أفكارَهُ، وصاغَها في صُورةٍ أكثر وضوحًا، وأشدَّ في مصادمتِها للمجتمع الإسلاميِّ بتكفِيرِه، وذلك بعبارات بيِّنة لا تدَعُ مجالًا للتأويل.

فبالنسبة لأبي الأعلَىٰ المَودُوديِّ، انبثقت الحاكميَّةُ عندَه من فَهْمِه الخاص لمُصطلحات (الإله والرَّب والعبادة والدِّين). فقد قام بتأليف كتاب (المُصطلحات الأربعة)، ويشير بذلك إلىٰ المصطلحات السابق ذكرُها، وزعم فيه أن معاني هذه المصطلحات قد غابت عن أفهامِ المسلمينَ وعُلمائِهم لقرون طويلة، حتَّىٰ جاء هو وفسَّرَها في كتابه.

ففي تفسيره لمصطلح (إله)، نجدُ أنه فسَّر (الأُلُوهَّية) بأَنها مُرادِفَةٌ

(١) للمزيد من الاطلاع حول مناقشة منطلقي الحاكميَّة والجاهلية انظر: (الحاكمية: إن الحكم إلا لله) ورقة بحثية للباحث (عبدالله بن أحمد الجفري)، و (مفهوم الجاهلية) ورقة بحثية للباحث (شعيب عزالدين حبيلة)، من إصدارات مبادرة سند.

لـ(السلطة)، ويريد بالسُّلطَة شِقَيَّن، **الشِّقُّ الأوَّل**: سلطَةُ الهيمنةِ علىٰ السُّنَنِ الطبيعيَّة، **والشِّقُّ الثَّاني**: سلطةُ التَّشرِيعِ وَإِذعان الخلقِ لأحكامِه. يقول:

«**فخلاصة القول أنَّ أصلَ الألوهية وجوهرها هو السلطة سواء أكان يعتقدُها الناس من حيث أن حكمها علىٰ هذا العالم حكمٌ مهيمن علىٰ قوانين الطبيعة، أو من حيثُ أن الإنسان في حياته الدنيا مطيع لأمرها وتابع لإرشادها، وأن أمرها في حدِّ ذاتِه واجبُ الطاعةِ والإذعان**»[1].

فيكونُ بذلك تعريف الإله عنده بأنه صاحب السُّلطة، أو مَنْ له الحاكميَّة:

«**ولفظُ إلهٍ واصطلاح الحاكميَّة هما اسمان لحقيقةٍ واحدةٍ**»[2].

وبِما أن كلمة (إله) عنده تعني (حاكم) فإن الإيمان بـ(لا إله إلا الله)، يعني (لا حاكم إلا الله)، ليس علي سبيل الإقرار فقط، بل كذلك علي سبيل الطاعة والإذعان، فالخروج عما أسماه (الحاكمية القانونية) للإله خروج عن الإقرار بألوهيته:

«**قد بت الإسلام في مسألة الحاكميَّة القانونية وقضىٰ أنها لله وحده، الَّذِي لا يقوم هذا الكون ولا تسير شؤونه إلا علىٰ حاكميته الواقعيَّة، والذي له حق الحاكميَّة علىٰ الناس من غير مُشاركٍ ولا مُنازعٍ. وذلك ما بيَّنَهُ القرآن**

(١) المصطلحات الأربعة في القرآن / ص ٢٣.

(٢) أبوالأعلي المودودي والصحوة الإسلامية / ص ١٣٤.

وأبدأ في ذكره وأعاد في ما لا يكاد يعد من آياته، وبقوَّة من البيان لا يمكن أن يؤتىٰ بمثلها لإثبات أمر ما، فقال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠] **وقال في موضع آخر** ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣] **وقد عبّر عن الانحراف عن حاكمية الله القانونيَّة بالكفر الصريح في آية ثالثة حيث قال** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. **ويتَّضحُ وضوحًا تامًا من هذه الآية أن الإسلام والإيمان هما عبارة عن التسليم بحاكميَّة الله القانونيَّة والاذعان لها، وما الجحود بها إلا كفر صريح»**[1].

وهنا نلاحظ ظهور مفهوم (الحاكمية القانونية)، وهو مفهوم مستحدث تمامًا، أرادَ به المودوديُّ أن يجعل من سُلطة التشريع منسوبةً لله وحده، ليس علىٰ سبيل الإقرار بالاستحقاق، فالكلُّ مؤمن بذلك، وليس علىٰ سبيل التشريع بمفهومه الشرعي وما ينطوي عليه من سُلطة التحريم والتحليل، فهي سلطة مقصورة علىٰ الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا خلاف في ذلك، وإنما علىٰ السبيل التنفيذي، فلا يكون لأحدٍ منَ الخلق الحق في التشريع بمعنىٰ سن القوانين، ولا يحقُّ للناس اتِّبَاع القوانين التي يسنها أحد من البشر، فإنهم بطاعته يجعلون له الحاكميَّة، وهي عنده الألوهية، ومن ثم يكون هذا الفعل من باب الكفر.

(١) تدوين الدستور الإسلامي/ ص ٢٢.

ومن أجل إثبات فكرته، من أن ألوهية الله هي حاكميته، أتىٰ بتفسيرات للآيات القرآنية مغايرة لما عليه فَهم أهل التفسير، يجئ بها من عند ذاته غير مستندٍ إلىٰ دليل، ويشير إلىٰ عدم فَهم السابقين جميعًا لها بشكل صحيح، كما لم يفهموا من قبل أيضًا - علي حد زعمه - المصطلحات الأربعة.

علىٰ سبيل المثال، يقول عن نمرود -ملك قوم إبراهيم- أنه لم يكفر بوجود الله ولا بأنه خالق ومدبر العالم، بل كفره أنه عيّن نفسه ملكًا وسيدًا مطاعاً في قومه، أي جعل لنفسه (الحاكمية القانونية) فيهم. ولا يخفىٰ ما في قوله هذا من مخالفة بالغة لما عليه فهم الأمة[1].

وفي موضع آخر، نجد أنه نفىٰ أيضًا عن فرعون ادعاء الألوهية، وزعم أن رفضه لدعوة موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان رفضًا للتخلي عن السلطة السياسية! يقول:

«ولم تكن دعوىٰ فرعون الأصلية بالألوهية الغالبة المتصرفة في نظام السنن الطبيعية، بل بالألوهية السياسية! فكان يزعم أنه الرب الأعلىٰ لأرض مصر وَمَنْ فيها بالمعنىٰ الثالث والرابع والخامس لكلمة (الرَّب) ويقول إني أنا مالك القطر المصري وما فيه من الغنىٰ والثروة وأنا الحقيق بالحاكميَّة المطلقَة فيه، وشخصيتي المركزية هي الأساس لمدينة مصر واجتماعها، وإذن لا يجرينَّ فيها إلَّا شريعتي وقانوني»[2].

(١) انظر المصطلحات الأربعة في القرآن / ص ٤٨.

(٢) المصطلحات الأربعة في القرآن / ص ٧١.

وهو يري أن قضيَّة الحاكميَّة هي جوهر الإيمان، وهي الغاية التي من أجلها بعث الله الرسل، وفي قولٍ عجيبٍ يُقرَّ أن هدف بعثة الأنبياء هو الانقلاب السياسي للسيطرة علىٰ الحكم، وليفعل قومه ما يشاؤون بعد ذلك طالما أَثَر فعلهم مقتصر علىٰ أنفسهم!

«وهؤلاء كانوا قد يسمحون لأهل الجاهليَّة بأَنْ يبقوا علىٰ عقائدهم السابقة، ويتَّبِعوا طرائقَهم الجاهليَّة ما دامتْ آثارُ أعمالهم منحصِرةً في أنفسهم، ولكنَّهم لم يكونوا ليُبيحوا لهم ولا كان يسعهم ذلك طبعًا أَنْ تبقَىٰ مقاليدُ السُّلطة والحكم بأيديهم ليديروا شؤون الحياة الإنسانيَّة علىٰ قواعد الجاهليَّة، ولذلك قد سعَىٰ كلُّ نبيٍّ وكلُّ رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسيِّ حيثما بُعِثَ!»[1].

ويرىٰ أن سائر العبادات والطاعات التي يفعلها المؤمن ليست عبادات مقصودة في ذاتِها، وإنما هي وسائل وتمارين علىٰ العبادة الحقة، وهي السعي لتنفيذ الحاكميَّة:

«هذه هي الغاية التي مِنْ أجلها فرضَ الإسلام عبادات الصلاة والصوم، والزكاة والحج، والتعبير عنها بالعبادة لا يعني أنها هي العبادة ليس غير، بل معنىٰ ذلك أنَّها تعد الإنسان لتلك العبادة، فكأنها مقررات تدريبية لازمة لها»[2].

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه / ص ٤١.

(٢) التفسير السياسي للإسلام/ ص ١٠٤.

فالإفراط في العبادات المفروضة عنده ليس محمودًا، وصك له مصطلح: جاهلية الرهبانيَّة! يقول:

«**وأما الجاهليَّة الرهبانية فأصابت بحملتها العلماء والمشايخ وأهل الورع والزهد**»[1].

وعلىٰ الرغم من وجود بعض النُّصوص الأخرىٰ له التي يقر فيها بحاكمية الإنسان القانونية المستعارة بصفته خليفة الله في الأرض، مع وجوب استنادها إلىٰ تشريع الله، إلا أنه كان يتراجع ويسلب الإنسان أيّ حقٍّ في التشريع، ثم يعود مرة أخرىٰ ويثبته، ويمكن القول أنَّ طرحَه في هذه النقطة جاء مُشوَّشًا، وقد أقرَّ بذلك المنصفون ممن أعجبهم فكره، كالدكتور محمد عمارة[2].

❁❁❁

ولقد سار سيِّد قطب علَىٰ خُطَىٰ المودوديِّ، فجعل من الحاكميَّة بمعنىٰ إجراء الأحكام الشرعية مما يتحدد به الإيمان والكفر، وصاغ رؤيته بعبارات أكثر تفصيلًا، وكذلك أكثر إيغالًا في التكفير، ومن المُؤسِف أنْ نَجِدَ صِياغاتَه تلك مَنهجًا مُقرَّرًا في منشورات الجماعات الإرهابيَّة المُسلَّحة وبياناتهم.

يُقرِّرُ سيِّد قطب أنَّ الأفعال المخالفة لأحكام الشريعة، أيًّا ما كان نوعُها،

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه/ ص ٤٨.

(٢) انظر: أبو الأعلىٰ المودودي والصحوة الإسلامية/ ص ٨١.

هي مما يَطعَن في عقيدة مُرتكبيها، لأن تطبيق هذه الأحكام (الحاكميَّة في فهمِه) هي عنده مسألة عَقيدَةٍ.

يَقُول:

«إنَّ حدودَ الاعتقادِ تَتَّسعُ وتترامىٰ حتىٰ تتناول كل جانب من جوانب الحياة وقضية الحاكميَّة كذلك فروعها أو كلمة خطأ في الإسلام هي قضية عقيدة والحاكميَّةُ قضية عقيدة كما أنَّ قضيةَ الأخلاقِ بمُجملِها هي قضية عقيدة»(١).

وَيقولُ بعبارةٍ واضحةٍ أن الحاكميَّة هي قضيَّةُ الإيمان:

«وقضيَّةُ التشريعِ هي قضيَّةُ الحاكميَّة، وقضيَّةُ الحاكميَّةِ هي قضية الإيمان»(٢).

ولعلَّ من أشهر ما استند إليه سيِّد قطب، واستند من بعده أصحابُ الفكرِ التكفيريِّ ومُجرِمو الجماعات المسلَّحَة المتذرِّعَة به، ما عُرف بـ (آيةِ الحاكميَّة)، وهي الآية الرابعة والأربعونَ من سورة المائدة، يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، ويقول سيِّد قطب في تفسير الآية:

«فمعنىٰ الاستسلام لشريعة الله هو - قبل كل شيء - الاعتراف بألوهيته

(١) في ظلال القرآن/ ص ٢١١٤.

(٢) المصدر السابق/ ص ١٢٠٥.

وربوبيته وقوامته وسلطانه. ومعنىٰ عدم الاستسلام لهذه الشريعة، واتخاذ شريعة غيرها في أَيَّةِ جزئيَّةٍ من جزئيَّاتِ الحيَاة، هو - قبل كل شيء - رفض الاعتراف بأُلُوهِيَّة الله ورُبُوبيَّته وقوامته وسلطانه، ويستوي أن يكون الاستسلامُ أو الرَّفضُ باللِّسَان أو بالفْعِل دون القول، وهي مِن ثَمَّ قضيَّةُ كفرٍ أو إيمانٍ؛ وجاهليةٍ أو إسلام، ومن هنا يجيء هذا النصُّ» [1].

ونفهمُ من النصِّ السابق، أنه يجعلُ المخالفة لأحكام الشريعة في أي جزئيَّةٍ بمثابة رفضٍ لهذا الحكم، ولو لم يكن الباعثُ علىٰ المخالفة الجحود به، فيفسِّرُ المخالفة برفضِ الاعتراف بألوهيَّة الله وسلطانه، مما يعني أن المخالفة لأيِّ حكمٍ من الأحكام كفرٌ صريحٌ.

وفي النصِّ التَّالِي، نجده يقرِّرُ أنَّ قضيةَ الحاكميَّةِ لا تنفصلُ عن العقيدةِ، ويُسمِّي مخالفةَ مفهومِه لَهَا مُروقًا مِنَ العقِيدَة، ويَكِيلُ الاتهامات بزَحزَحَةِ هذهِ الحقيقة مِنْ نفُوسِ المسلمينَ. يَقُولُ:

«هذِهِ هيَ الحقيقةُ الَّتي زُحزِحَ مفهومُ الدِّين في نُفوسِ أهل هذا الدِّين عنها زحزحةً مُطَّردَة خلال قرون طويلة، بشتىٰ الأساليب الجهَنَّمية الخَبِيثة، حتىٰ انْتَهىٰ الأمر بأكثرَ المتحمِّسِين لهذا الدِّين- ودعك من أعدائه والمستهتِرِين الَّذِين لا يحفلونه- أن تصبح قضية الحاكميَّة في نفوسهِم قضيَّةً مُنفصلةً عن قضيَّةِ العقيدةِ! لا تُجيّش لها نفوسهم كما تُجيّش للعقيدة! ولا

(١) في ظلال القرآن/ ص ٨٨٩.

يعدُّون المروقَ منها مُروقًا من الدِّين، كالَّذِي يمرُق من عقيدة أو عبادة! وهذا الدِّين لا يعرف الفصلَ بينَ العقيدةِ والعبادة والشريعة. إنما هي الزحزحة التي زَاولَتها أجهزة مدربة، قرونًا طويلةً، حتىٰ انتهت مسألة الحاكميَّة إلىٰ هذه الصورة الباهتة؛ حتىٰ في حسِّ أشدِّ المتحمِّسين لهذا الدِّين!»[1].

ولا يَخفىٰ ما في قوله من اتهام آثمٍ، وإساءةٍ متعمَّدة لعُلماءِ الأمَّة، وهُم الَّذين قد تثبَّتُوا، وتمسَّكُوا بصحيح فَهم هذا الدِّين كما بَلَغَهُم عن السَّلَف الصَّالِح. فهُو يرىٰ أنَّ العلمَاء علىٰ مدار قرون تاريخ الإسلام قد زَيَّفُوا الحقائقَ، واستخدموا (الأساليبَ الجهنَّميَّة الخبِيثة) علىٰ حدِّ وصفهِ، أمَّا هو -منفردًا- فيعرفُ الحقَّ ويُثبته!

❁❁❁

وفي نقد ما ذهب إليه المودوديُّ وسيد قطب ومن تَلاهم ممن تبنُّوا فكرهما بشأن الحاكميَّة نُجمِلُ ما يأتي:

- إنَّ شهادة الإسلام هي (لا إلهَ إلا اللهُ مُحمَّدُ رسولُ الله)، لا نَخُصُّ في شهادتنا اسمًا ولا وصفًا دون غيره مما له سبحانه وتعالىٰ من أسماءَ وصفاتٍ نُقِرُّ بها، ما نعلم منها وما لا نعلم، وإنَّ ما ذهب إليه المودوديُّ من تغيير معنىٰ كلمة الإله من (المَعبُود) إلىٰ (الحاكم) خطأٌ كبيرٌ، فإن إيماننا بالله لا ينبني علىٰ إقرارنا بحاكمِيَّته في الكون وَحدهَا (وهي له قطعًا سُبحانه الملك)،

(١) في ظلال القرآن/ ص ١٢١٦.

وإلا جاز أن نُسمِّي مؤمنًا ممَّن نفَىٰ عنه وصفًا مَعلُومًا له بالضرورة ككَونِه رحيمًا، أو كونِه مُنزَّهًا عن النَّقائِص أو أن يكون له شبيه، وقولُه هذا يفتح الباب لمذاهب فكرِّية فاسدةٍ.

- إنَّ الإيمان بصفات الله يكون بإقرار نسبتها له، فإقرار حاكميَّة الله بمعنىٰ هيمَنتِه علىٰ السُّنَنِ الكونيَّة، وبمعنىٰ استِحقاقِه الحكم والتشريع، والتصديق بكل ما جاء في كتابه العزيز من أحكام، مما يقتضيه الإيمان قطعًا، فليس محل الإنكار علىٰ قولِهم بالحاكميَّة من جهة الإقرارِ بكونِهَا لله، وَإنَّما الإنكارُ عليهم في أمرين:

الأمرُ الأوَّلُ: أنهم جعلوا المخالفةَ للحُكمِ كفرٌ، سواء صدرت عن حاكم أو محكوم، رغمَ أنَّ المخالفةَ سلوكٌ لا اعتقاد. وإن مرتكب الكبائر علىٰ كبر إثمِه وشناعتِه ليس بكافر، إلا في مذهب الخوارجِ الَّذين قالوا بكفره. يقول الإمام الطحاويُّ: «**وأهلُ الكبائرِ من أمَّةِ محمَّدٍ في النَّار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم مُوحِّدون، وإن لم يكونوا تَائبين، بعد أن لقوا اللهَ عارفين مؤمنين**». فإدخالُ الأحكام والمعاملات والأخلاقيات في العقيدة كما ذكر سيِّد قطب خلطٌ عجيبٌ في المفاهيمِ، فيه من الابتداع في أصول الاعتقاد ما لا يقبله العقل المدقِّقُ المنصفُ، فليست عقيدة المسلمين هيِّنة، والإيمان لا يَلِج فيه الناسُ ويخرجون بعبارات أدبية مرسلة.

أما الَّذِي يكون به الكفر فهو جحود الحكم المعلومِ منَ الدِّين بالضرورةِ، بمعنىٰ إنكارهِ لا مخالفَتِه، فهو جُحودٌ مِن صاحبه لِمَا أدخله

في الإيمان من تصديقٍ لله ورسولهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو مع هذا في كثير مِن نصوص الفقهاءِ مَشرُوطٌ بعدمِ العُذرِ بِالجَهلِ، كالَّذِي يكون في حَديث العَهدِ بالإسلامِ وكمن نَشَأَ في بَادِيَةٍ بعيدًا عنِ العلماءِ[1].

وليس في نفي الكُفر عنِ المخالفات تهاونًا في حقِّ الله، وإنما هو إثبات ما أثبته الله، فإن القرآن الكريم يَحفَلُ بالآيات التي تدعُو كلَّ مُذنبٍ بصغيرة أو كبيرة إلىٰ التَّوبَة، وَإِنَّ الصغائرَ والكبائرَ وَقَعَتْ في عَهدِ النَّبِيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وَلَمْ يَرِد عَنه أَنَّهُ قَد كَفَّر أحدًا مِن مُرتَكِبيهَا. ولا يخفىٰ علىٰ سليم الفَهْم ما يترتَّبُ علىٰ التَّكفِير من المفاسِدِ والفتنِ.

وحين نجيءُ لما ذهب إليه كلٌّ من المودوديِّ وسيِّد قطب في تفسير الآية الرابعة والأربعين من سورة المائدة، فمِنَ النَّافِع أن أُحيلَ القارئَ إلىٰ ما ورد في (**فصل الحاكِميَّة**) من كتاب (**الحقُّ المبينُ في الردِّ علىٰ من تلاعبَ بالدِّين**)[2] لفضيلة الدكتور أسامة الأزهري من تفسيرها. إذْ عَقَدَ مقارنةً بين ما ذهب إليه أهلُ التَّفسِير من السلف في فَهمِهِم للآية، ومنهم صحابة رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والعلماء الذين فسَّروا القرآن بفَهم الصَّحابة والتَّابعين، وبين تفسير سيِّد قطب في الظِّلَالِ، حيث أجمعوا علىٰ أنَّ قولَه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ «لم يحكم» يقصد بها علىٰ سبيل الإنكارِ والجحودِ، لا علىٰ سبيل التنفيذ،

(١) للمزيد من التفصيل حول هذه المسألة انظر مسألة (التحليل والتحريم) في بحث (الحاكمية)، من إصدارات مبادرة سند.

(٢) الحق المبين في الرد علي من تلاعب بالدين/ دار الفقيه/ ط١.

سواء لتعذرٍ نتجَ لعارضٍ منَ العوارض، أو عن معصية، بينما انفردَ سيِّد قطب في ظِلالِه بقوله أنَّ تارك الحكم كافر بإطلاقه، وقال أن الجحود إنما يكون بالقول أو الفعل، يقصِدُ بذلك التَّرك، وهو ابتداع مِنْ عند نفسه لا يستند فيه إلىٰ دليلٍ منَ الشرع أو المنطق، إذ إن المخالفة باختلاف درجاتها تقع من المسلم، ولم يخبرنا الله أن مخالفة المسلم لحكم من أحكامه تجعله كافرًا، وإلا فما جدوي الأمر بالاستغفار؟ وما معني التوبة؟ ومن الذين تشملهم رحمة الله إن لم تشمل المسلمين الموحدين؟

الأمر الثاني: وهو مستندٌ إلىٰ الذوق وما تتركه نصوصهم من انطباع في نفس المُتَلقِّي. ذلك أنهم لمَّا خصُّوا الأُلُوهيَّة بالحاكميَّة، ثم نادوا بإجراء الحاكميَّة بفَهمِهِم لها، أو تنفيذها في الأرض، نَحَوا في دعوتهم نحوًا يتركُ في نَفسِ المُتلقِّي أثرًا لا يَخفَىٰ في ثنايا كلماتهم، بل إن بعض النصوص تؤكِّد هذا الشعور، من أنَّ حاكميَّة الله لا تكتمل -حاشا لله- إلا بفعل العبد، أو تنفيذ أحكامه، وبأن المخالفة ولو في جزئيَّة من الجزئيات تنافِي حاكميته، وفي هذا خطأ كبير، إذ إن هيمنة الله علىٰ خلقه ليست نتيجة لأفعالهم. كما أن سائر صفات الله ينطبق عليها نفس الأمر، فالله هو (الغفور) ولو لم نستغفر، وهو (الجَبَّار) ولو تكبَّر أحدٌ من الخلق، قِس علىٰ ذلك سائر الصفات.

وهذه النُّقطة تحتاج إلىٰ وقفة مع أصحاب هذا الفكر، لِمَا يحمله هذا التَّصَور عن الله من تشوش لا يستقيم مع الفَهْمِ السَّليم للعقيدة.

إن الله هو الملك، ولو عصاه كل أهل الأرض. فليست هيمنته نِتاج طاعتهم كما يكون للملك من ملوك الدنيا، ولا حتىٰ نتاج الإيمان به، فهو المَلِكُ ولو كفروا جميعًا، فالله هُوَ الغَنِيُّ العزيز.

﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ﴿ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ﴾ الزمر: ٧]، ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [فاطر: ١٥] هذا المعنىٰ المشوَّش نجده في أكثر من موضعٍ، سواء عند المودوديِّ أو سيِّد قطب. فالمودوديُّ يشير إلىٰ أن الغاية المنشودة من بعث الرِّسالات هي إقامة ما أسماه بالحكومة الإلهيَّة! ومن ثَمَّ فإن مهمةُ الأنبياءِ هي الانقلاب علىٰ الأوضاع السياسيَّةِ أو التمهيد للانقلابات لتمكين هذه الحكومة. يقول: **(لأجل ذلك ما زالت الغاية المنشودة من رسالة الأنبياء عليهم السلام في هذه الدنيا أن يقيموا الحكومة الإسلاميَّة، ويُنفِّذُوا بها ذلك النظام الكامل للحياة الإنسانيَّة الَّذِي جاؤوا به من عند الله)**[1]، ثم يقول: **(ولذلك قد سعىٰ كلُّ نبيٍّ وكلُّ رسول لإحداث الانقلاب السياسي حيثُما بُعثَ. فمنهم من اقتصرت مساعيه علىٰ تمهيد السبيل وإعداد العدد كإبراهيمَ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ**، ومنهم من أَخَذَ فِعلًا في الحركةِ الانقلابيَّة ولكن انتهتْ رسالتُهُ قبل أن تقوم علىٰ يده الحكومة الإلهيَّة، كعيسىٰ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. **ومنهم من بَلَغَ بهذه الحركة منازلَ الفوزِ والنَّجاح كموسَىٰ** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **وسيدنا محمدٍ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **!)**[2].

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه/ ص ٤١.

(٢) المرجع السابق/ ص ٤١-٤٢.

وإنَّنَا نجدُ فيما ذهب إليه المودودي أكثرَ من إشكال، فالغاية التي بعث الله من أجلِها الأنبياءَ لم تكن قط الانقلاب السياسي، فإن هذه المصطلحات المستحدثة لا يجوز أن نَتَقوَّل بها علىٰ الله، وإنما نقول ما أخبرنا به من أنَّه قد بعث الرُّسلَ عليهم الصلاة والسلام لدعوةِ الناس إلىٰ عبادته، والألوهية ليست حِزبًا سِياسِيًّا وليس الإله كحُكَّام البشر لِنَدَّعِي أننا نأتي بحكومته بانقلاب سياسي علىٰ حُكُومةٍ قائمةٍ، فلا يخفىٰ ما في هذا القول من فسادٍ في التَّصوُّر، وأمَّا تقسِيمُهُ للأنبياء من حيثُ النَّجاحُ أو الفَشل في إحداث ما زَعمَهُ من انقلابٍ مَنشودٍ فإنَّه تقسيمٌ مسيءٌ لا يليق بمقام النُّبُوَّة، فغالبية من أخبرنا الله عنهم من الأنبياء في القرآن الكريم لم يُنشؤوا ممالك، وبعضهم لم يظهر في القرآن الكريم إلا في وَمضَةٍ خاطفةٍ فيها موجز دعوته: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠]. والقرآن يطالعنا بقصة رجل لم يخبرنا باسمه، وإنما أخبرنا بفعله الَّذِي استحق به دخول الجنة والنعيم المقيم، وهو دعوة قومه إلىٰ اتباع المرسلين: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢٧]. لا ذكر هنا

لحكومات، ولا انقلابات سِياسِيَّة، إنما هي الدعوة لعبادة الله، الغاية التي جاء بها كُلُّ نبيٍّ ورسولٍ.

ومن الأنبياء مَنْ لم يستجب لهم إلا القليلُ من قومِ دعوتهم، فلم يخبرنا اللهُ أنَّ هذا النبي أو ذاك قد فشل في دعوته، أو أن إيمان هؤلاء الذين آمنوا به ناقص لأنهم لم يقيموا ما أسماه المودودي بالحُكُومَةِ الإلهِيَّة. والإسلامُ لا يَهدف بالأصالة إلىٰ حكم الممالك، بل تعمير القلوب بعبادة الله وذكره.

عَنْ سَهْلِ بن سعدٍ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ لِعَليٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **فواللهِ لأنْ يهْدِيَ الله بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم. [متفق عليه]**

ويتكرَّرُ المعنىٰ عند سيِّد قطب، فنجده يدعو لما أسماهُ بـ **(مملكة الله في الأرض)!** فيقول في سبيل إقامتها: **(ولكِنَّها تقوم بأن تكون شريعة الله هي الحاكمة، وأن يكون مردّ الأمر إلىٰ الله وَفْقَ ما قرَّرَهُ من شريعةٍ مبينة. وقيام مملكة الله في الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد ورده إلىٰ الله وحده، وسيادة الشريعة الإلهية وحدها وإلغاء القوانين البشرية، كل أولئك لا يتم بمجرد التبليغ والبيان)**[1].

مَن ذا الَّذِي يقدرُ علىٰ اغتصاب سلطان الله؟! ومَنْ هؤلاء الذين يَزعُمون لأنفسهم أنهم يَردُّون لله سلطانه؟!

(١) معالم في الطريق/ ص ٦٠.

كان الأجدر بالمودودي، وسيد قطب، والَّذِين ساروا علي نَهْجِهما بعد ذلك، أن يدعوا الناس إلىٰ طاعة الله والامتثال لأحكامه دون ايراد هذه المفاهيم الفاسدة، التي تُذكِّر قارئَها بصراعات القوىٰ بين الآلِهَةِ من أجل الحُكمِ عند الوثنيين، ودون ابتداع مفاهيم الحاكميَّة القانونية وإنشاء مملكة الله، لأن حاكميَّة الله قائمة ولو عصاه كل أهل الأرض، وهو الملك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز أن نَظُنَّ مجرد الظنِّ أن بقعة من الأرض تصير مملكته فقط بتنفيذ أحكامه فيها علي يد البشر كما يكون الحال مع الواحد من حُكَّام الدنيا، فالكون بأسره ملكه وطوع يديه.

❁❁❁

٢- الجاهليَّةُ:

يجيءُ تكفيرُ المسلمين، ووصفهم بالجاهلية، نتيجة لما سبقَ منِ ابتداعٍ في أصولِ الدِّين بِفَهمِهِم المشوَّش لحاكميَّة الله. ولقد امتدَّ القولُ واتَّسع بالتَّشكِيك في عقيدة المسلمين، حتىٰ شَمَلَ الجميعَ، الحكَّامَ والمحكومين.

وكما سبق المودودي بفهمه الخاص للحاكميَّة، سبق كذلك وانفرد بأن كانَ أوَّلَ من وصف الأمَّةَ الإسلاميَّةَ بالجاهليَّةِ. ويمكن القول أَنَّ الجاهلية عند المودوديِّ كانت نقطةَ الانطلاقِ ونقطة النهاية. كانت نقطة الانطلاق، لأنه لمَّا أراد تفسير الآيات القرآنية، وتفسير المصطلحات الأربعة، وتفسير مفهوم الحاكميَّة، بمَعزِلٍ عن فَهْمِ علماء المسلمين، جَهَّل الأمَّة، وزَعَمَ أنَّ

الفَهمَ الصَّحِيح لِتعالِيم القرآن الكريم قد غَاب عنها لِقُرون، لأن الناس لم يفهموا المصطلحات الأربعة كما فَهِمَهَا هو!

يقول في كتابه «المصطلحات الأربعة»: «**من الحقِّ الَّذِي لا مِراءَ فيه أنَّه قد خفيَ علىٰ النَّاس معظم تَعالِيم القرآن، بلْ قد غابت عنهم رُوحُه السَّامِية وفكرتُه المركزيَّةُ لمجرد ما غَشِي هذه المصطلحات الأربعة الأساسية من حَجبِ الجهل**»[1]. إذ يرىٰ أنَّ معانِي القرآن قَد فُهمت بالفعل في عصر نُزُولِهِ، ويعزِي ذلك إلىٰ الذَّائقة العربية السليمة في زَمن الجاهلية، التي مكَّنَتِ العرب - حسبما يقول - من الفهم السليم للمُصطلحات الأربعة.

يقول: «**لما نزل القرآن في العرب وَعُرض علىٰ الناطقين بالضاد كان حينئذ يَعْرِف كلُ امرئٍ منهم ما معنىٰ (الإله) وما المراد بـ (الرَبِّ)، لأن كلمتي (الإله) و(الرب) كانتا مستعملتين في كلامهم منذ قبل، وكانوا يحيطون علمًا بجميع المعاني التي تطلقان عليها**»[2].

ثم يضيف: «**ولكنه في القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر جعلت تتبدَّلُ المَعانِي الأصليَّة الصحيحة لجميع تلك الكلمات، تلك المعاني التي كانت شائعةً بين القوم عصر نزول القرآن، حتىٰ أخذتْ تضيق كل كلمة من تلكم الكلمات الأربع عما كانت تتسع له وتحيط به من قبل، وعادت**

(١) المصطلحات الأربعة / ص١١.

(٢) المصدر السابق/ ص ٨-٩.

منحصرةً في معانٍ ضيِّقة محدودة؛ بمدلُولاتٍ غامضةٍ مستبهمة»[1].

ثُمَّ ذهب وَفقًا لتفسيراتِه الخَاصَّة للمفاهيم والآيات القرآنية إلىٰ مفهومه في الحاكميَّة، فكان ما انتهىٰ إليه هو إدانة الأمة الإسلاميَّة بأَسرِها، وَوصَمَهَا لأوَّلِ مَرَّةٍ بالجاهليَّة.

ففي كتابه «موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه»، يشرح المودوديُّ مفهومَ الجاهليَّة كما يراه، ويقسمها إلىٰ ثلاثةِ أقسامٍ. **الجاهليَّةُ المحضَةُ**، وتَعنِي الاعتقاد: « **أن نظام هذا العالم كلَّه حادث قد حدث مصادفة، فليس وراءه حكمة تدبره، أو غاية مصطلحة تسير دفته**»[2]. **جاهليَّةُ الشِّركِ**، وتَعنِي: «**هذا الكون لم ينبعث مصادفة، ولا هو قائم بدون إله، إلا أنه ليس له إله واحد بل آلهة متعدِّدَة**»[3]. **جاهليَّةُ الرَّهبانِيَّة**، وتعنِي الاعتقاد بأن «**لا سبيل إلىٰ نجاة المرءِ في مآل أمره إلا أن ينقطع عن مشاغل هذه الحياة، ويُذلِّل الرغبات ويجتنب اللذَّات**»[4]. وبعد شرحه للأقسام الثلاثة، يأتي المودوديُّ بحكمه الجائر علىٰ واقعِ المُسلِمين وتاريخهم، فيقول:

«**جاءت الجاهليَّةُ بأنواعها الثلاثة لابسةً لِبَاس الإسلام، وجعلت تتأصَّلُ في المجتمع العربيِّ والإسلاميِّ وتتمشَّىٰ فيه، وغدتْ آثارها تزدادُ**

(١) المصطلحات الأربعة/ ص ٩.

(٢) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه/ ص ١٨.

(٣) المصدر السابق/ ص ٢٢.

(٤) المصدر السابق / ص ٢٨.

انتشارًا على مرور الأيَّام»[1]!

ثُمَّ يمضي المودوديُّ شارحًا في طرحٍ غَريبٍ مُنكرٍ ويجعلُ لِكلِّ طبقةٍ منَ المُسلمينَ نصيبَها منَ الجاهليَّةِ:

«فأمَّا الجاهليَّةُ المَحضَةُ، فعمَدَت إلىٰ الدَّولة فهَيمَنتْ عليها وانقلبتْ الخلافَةُ قيصريَّة جاء الإسلام يَقطعُ دَابرها، ولَم يَبقَ فيها من الخلافِة إلا اسمها»[2].

«وأَمَّا جاهليَّةُ الشِّركِ فوثبَتْ علىٰ عامَّة النَّاسِ وعدلت بهم عن جادَّة التَّوحيد إلىٰ ملاوِي الضَّلال المُتشعِّبة، وَأن المسلمين لم يَرجِعُوا إلىٰ الوثَنيَّة الصَّحِيحة إلا أنَّه لم تَبقَ صورةٌ من صور الشرك لم تَرُجْ في مجتمعاتهم رَوَاجًا»[3].

«وَأَمَّا الجاهليَّةُ الرَّهبَانيَّة فَأَصابتْ بحملتها العلماءَ والمشايخَ وأهلَ الورعِ والزُّهد، وراحت تشيع فيهم المساوئ التي أشرت إليها آنفًا»[4].

والطَّامَّةُ الكُبْرىٰ، أنَّه لا يَعزِي إحياء هذه الجاهلية وتلبسها بالإسلام إلىٰ العصور المتأخرة زمنيًا عن الهَدي النَّبَويِّ مثلًا، بل إنَّه يَعزي إِحيَائَها للقرْنِ الأوَّل الهجريِّ في زمن الخلفاءِ الراشدين فيما أسماه بِوثْبة الجاهليَّة!

يقول: «**والخليفة الثَّالث الَّذِي أُلقِيَ علىٰ عاتقه عبءَ هذا العمل**

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه / ص ٤٥.

(٢) المصدر السابق / ص ٤٦-٤٧.

(٣) المصدر السابق/ ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق/ ص ٤٨.

الجليل كان لا يتَّصِفُ بتلك الخصائص التي أوتيها العظيمان اللذان سبقاه. فوجدتِ الجاهليَّةُ سبيلَها إلىٰ النِّظام الجماعيِّ الإسلاميِّ، وإن تَيَّارَها الجارف وإنْ حاول عثمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سدَّهُ ببذل نفسه ومُهجته، إلا أنه لم يَنكَفِئ. ثم خَلَفَه عليٌّ كرم الله وجهه واستفرغ جهدَه لمنع هذه الفتنة وصيانة السُّلطة السياسيَّة في الإسلام ومن تمكن الجاهليَّة منها، ولكنه لم يستطعْ أن يدفع هذا الانقلاب الرجعيَّ المَركُوس حتىٰ بِبَذلِ نفسه، فانتهىٰ بذلك عهدُ الخلافة علىٰ مِنهاجِ النُّبُوَّة وحلَّ مَحلَّها المُلك الْعضُوض، وبدأ الحكم والسلطة يقوم علىٰ قواعدِ الجاهليَّة بدلًا من قواعدِ الإسلام»[1].

❁❁❁

أمَّا سيِّد قطب، فلا يسعُ المجالُ لحصر أقواله في تجهيل المسلمين، فقد قال بعبارة صريحة أن الإسلام لم يَعُدْ موجودًا!، ونُجمِلُ من بعضِ أقواله ما يلي ليتبيَّن للقارئِ إلىٰ أي مدىٰ ذهب سيِّد قطب في تكفير المسلمين:

«لقد استدارَ الزَّمَانُ كهيئته يوم جاءها هذا الدين، وانتكستِ البشريَّة إلىٰ جاهليَّةٍ كاملةٍ شاملةٍ للأُصُول والفروع والبواطن والظواهر، والسطوح والأعماق! انتكست البشريَّةُ في تَصوُّراتها الاعتقاديَّة ابتداءً - حتىٰ الذين كان آباؤهم وأجدادهم من المؤمنين بهذا الدِّين، المسلمين لله المُخلصين له الدِّين - فإنَّ صورةَ العقيدة قد مسخت في تصورهم ومفهومهم لها في الأعماق»[2].

---

(١) موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه/ ص ٤٣-٤٤.

(٢) في ظلال القرآن/ ص ١٢٥٥.

«وبهذا المقياس الأساسي يتَّضحُ أنَّ وجه الأرض اليوم تغمره الجاهليَّة. وأنَّ حياة البشرية اليوم تحكمها الجاهليَّة. وأنَّ الإسلام اليوم متوقِّف عنِ «الوجود» مجرد الوجود ! وأنَّ الدعاة إليه اليوم يَستَهْدِفُون ما كان يستهدفه محمد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمامًا ويُواجِهُون ما كان يُواجِهُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تمامًا»(١).

«إنَّ وجود الأُمَّة المسلمة يعتبر قد انقطع منذُ قرون طويلة»(٢).

«البشريةُ عادت إلىٰ الجاهليَّة وارْتَدَّتْ عن لا إله إلا الله، البشرية بجُملَتِها بما فيها أولئك الذين يُردِّدون علىٰ المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثمًا وأشدُّ عذابًا يوم القيامة أنهم ارتدوا إلىٰ عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدىٰ ومن بعد أن كانوا في دين الله»(٣).

بهذا العبارات الواضِحةُ، التي لا نَعرِفُ لها تأويلًا غيرَ ما تَفصَحُ به مِنْ تكفيرِ المُسلمين وأهلِ الأرضِ قاطبةً بما في ذلك الَّذين يُرَدِّدون فوق المآذن لا إله إلا الله، أَطلقَ سيِّد قطب حُكمَهَ بالجاهليَّةِ المُطلقَةِ.

وكما أشار المودوديُّ إلىٰ وثبة الجاهليَّة التي يُؤرِّخ لبدايَاتِها في عهد

(١) المصدر السابق/ ص ١٢٥٧.

(٢) معالم في الطريق / ص ٥.

(٣) في ظلال القرآن/ ص ١٠٥٧.

الخليفة الثَّالث سيِّدِنا عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فإنَّ سيِّد قطب في كتابه «العدالة الاجتماعية في الإسلام»[1] قد استفاض في تأكيد نفسِ المعنىٰ، وعَلَّلَ ذلك بما وصفه بالخللِ في تَصوُّر الحكم والخَلل في تَوزيع الثَّروات في عهد سيِّدِنا عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، مما أدَّىٰ - بحسب زعمه - إلىٰ الثَّورَة عليه.

فهو يرىٰ أنَّ سيِّدَنا عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قد غُبِن بتأخير خلافته بعد عمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**ولقد يكون عليّ قد غُبن في تأخيره- وبخاصَّة بعد عمرَ. ولكن هذا التأخير كان له الفضل في التَّقرير العمليِّ لنظريَّة الإسلام في الحُكمِ، حتىٰ لا تقوم عليها شُبهة من حق الوراثة، الَّذِي هو أبعد شيء عن رُوح الإسلام وَمبادِئِه. وأيًّا كانَ الغَبْنُ الَّذِي أصاب شخص الإمَامِ كرَّمَ الله وجهه فإنَّ تقريرَ هذه القاعدة كان أكبرَ منه علىٰ كُلِّ حالٍ!**»[2].

ويرىٰ أنَّ التَّصَوُّر الرشيد للحكم قد تغيَّر في عهد عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «**هذا التصوُّرُ لحقيقةِ الحكم قد تغيَّر شيئًا ما دون شكٍّ علىٰ عهدِ عُثمانَ، وَإن بَقِيَ في سياج الإسلام. لقد أدركتِ الخلافة عثمانَ وهو شيخٌ كبيرٌ، ومن ورائه مَروان بن الحَكَم يصرْفِ الأمْرِ بكثير من الانحرافِ عن الإسلام. كما أنَّ**

(١) النصوص المقتبسة من هذا الكتاب اعتمدنا فيها علي الطبعات المنقحة للكتاب، وهي الطبعات التالية للطبعة الخامسة، ونشير إلىٰ أن الحذف قد طال نصوص هذا الكتاب في نسخه المنقحة، بعد أن تعرّض النص الأصلي للنقد الشديد، لما احتواه من استخدام لغة حادة اللفظ في بعض صحابة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام/ دار الشروق/ ط ١٩٩٥/ ص ١٥٤.

طبيعة عثمان الرَّخِيَّة، وحدبه الشديد عَلَىٰ أَهلِه، قد ساهم كلاهُمَا في صُدُورِ تصرُّفاتٍ أَنْكرَهَا الكَثيرُونَ منَ الصَّحابة مِن حَولِهِ»[1].

ثم يَمضِي في ذكْرِ بعضِ الرِّوايات لتَأكِيد فِكرَته، حتَّىٰ يصلَ إلىٰ القول بأنَّ الثَّورَة علَىٰ عثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، تلك الثَّورةُ الَّتِي انتهت بقَتلِه، كَانَتْ فَوْرَةً منْ رُوح الإسلام! يقول: «**وأخيرًا ثارت الثَّائِرة علىٰ عثمانَ، واختلطَ الحقُّ بالباطلِ، والخيرُ بالشرِّ. ولكن لابُدَّ لِمَنْ نظر إلىٰ الأُمُورِ بعَين الإسلامِ، ويستشعِرُ الأُمُورَ برُوح الإسلام، أَنْ يقرِّرَ أنَّ تلك الثورةَ في عمومِهَا كانت فَوْرَةً مِن رُوح الإسلام، وذلك دون إغفالٍ لما وراءها من كيد اليهوديِّ ابن سبأٍ عليه لعنةُ اللهِ!**»[2].

ويُقرِّرُ بعبارة واضحة: «**ونحنُ نميلُ إلىٰ اعتبار خلافة عليٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **امتدادًا طبيعيًّا لخلافة الشَّيخَين قَبلَهُ، وَأَنَّ عهدَ عثمانَ الَّذِي تحكم فيه مروان كان فَجْوَةً بينهما**»[3]

❁ ❁ ❁

وفي نقدِ ما ذهبوا إليه من تجهيلِ الأُمَّة الإسلاميَّة، نُجملُ ما يأتي:

- إنَّ نقد فَهمِهم المُشوَّه لحاكميَّة الله كما سبق، نقدٌ لِمَا تَرَتَّبَ عليه

(١) العدالة الاجتماعية في الإسلام/ ص ١٥٩.

(٢) المصدر السابق / ص ١٦١.

(٣) المصدر السابق / ص ١٧٢.

مِن قَولِهم بِتكفِير المُسلِمين وفْق مبدأ الحَاكميَّة، لأن ما بُنيَ علىٰ باطلٍ فهو باطل.

- ما ذهب إليه المودوديُّ بزَعمِه غياب معاني القرآن الكريم عن أفهام المسلمين لقرون حتىٰ جاء هو وفسَّرها، يخالفُ القرآن الكريم، ويحد من دور النبوَّة الشَّريفة، ويطعنُ بصورةٍ جَائِرةٍ في حضارةِ المُسلمينَ وتارِيخِهم.

فَأمَّا مخالَفَتُه للقرآن الكريم، فلأنَّ القولَ بغموض القرآن يعارضُ القرآن ذاتَه، فالآيات القرآنيَّةُ نصَّت علىٰ بيان معانيه، ومن جملة ذلك: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [يوسف: ١]، ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾ [النمل: ١]، ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الحجر: ١]، ﴿طسٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [الشعراء: ١ - ٢].

ثُمَّ إنَّه يَعْزِي فَهم معاني القرآن ساعةَ نزوله إلىٰ الذَّائِقَةِ اللُّغويَّةِ للْعَرب، والحقيقةُ أنه ليس هذا السَّبَبُ فحسب، وإنَّمَا أصل البَيَان هو سيِّدُنَا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، الَّذِي بَيَّن لنا مقاصدَهُ، وجَسَّدَ تعالِيمَه في حالِه وسلُوكِهِ، فقالت عنه السيدة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا: **كان خُلُقُه القرآن.**

يقول الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

ويقول: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وفي الآيتين السابقتين إشارة إلىٰ أن الناس لم يتلقَّوا فهمهم لمعاني القرآن الكريم منفردين من القرآن فحسب، بل إن هذا القرآن يُوحَىٰ به إلىٰ النبي ليُبيّنه لهم، وفي الادعاء بأن معاني القرآن غابت لمَّا غابت ذائقة المسلمين للغة العربية إنكارٌ لدوره، وكأنَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يترك لنا في سنته، وفيما رُوِي عنه من أحاديث، وفي تفاسير مَن ربّي من كرام الصحابة، هدي وإرشاد.

ويقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧ - ١٩]. **وقد جاء في تفسير ابن كثير: (قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ أي في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ أي أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالىٰ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي بعد حفظِهِ وتلاوته نُبيِّنُه لك، ونوضِّحه، ونلهمك معناه علىٰ ما أردنا وشرعنا)**[1]. فهذا تعهُّدٌ من الله أن يُبَيِّن معاني القرآن ومقاصده وأحكامه لِنَبيِّهِ ولأمته، فلا يليق بعد هذا الوعد الإلهيِّ ببيان معاني القرآن أن يأتي أحد ليدَّعِي أن مفاهيم القرآن الجَوهرية التي يقوم عليها إيمان المسلمين قد ظلت غامضةً ومُبهَمَةً لقرون، حتىٰ جاءَ هو فَفَهِمَهَا وشرحها علىٰ حسب ما يرىٰ.

وأما الطَّعنُ في حضارة المسلمين وتاريخهم، فإنَّه النَّتيجةُ المترتِّبةُ علىٰ ما سَبَقَ، فإنَّ حضارةَ أيّ أمَّةٍ هي نِتَاجُ فِكرِها، وعندما ينفي المودودي

(١) تفسير ابن كثير/ ج ٨/ ص ٢٧٩.

عن الأمة استيعابها الصحيح لمفاهيم الدين الأصيلة والجوهرية، فإنه يفتح بذلك الباب علىٰ مصراعيه لكل من أراد أن يطعن في حضارتها بأحكام جائرة؛ لأن وصمه الأمة بالجاهلية يجرد حضارتها من أخص خصائصها ومرتكزها العقدي والفكري، وهو الإيمان بالله وتوحيده..

- إن عبارات سيِّد قطب التي يدَّعي من خلالها انقطاع الإسلام عن الوجود، وانقطاع أُمَّةِ المسلمين، ونعته الأرض بمن عليها بالجاهلية، لا تحتملُ التأويل، ولا تحتاج إلىٰ إثباتٍ لبيان فَسادِها وَإِفسَادِها، وسوف نتطرَّقُ لنَقد هذا المِنظار التَّكفِيرِي الأَسود الَّذِي ينظُر من خلالِه أصحابُ هذا الفكر لِلعالَم في مناقشتنا لتبلور مفهوم العُصبة المؤمنة في الفصل التالي.

- إن ما أَورَدناهُ من كلام المودوديِّ وسيِّد قطب، حول تأريخهم لبداية ما أَسماهُ المودودي بوَثبَةِ الجاهليَّة في فترة خلافة سيِّدِنا عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأرضاه، نهدف من ورائه إلىٰ تأكيد هذا الخلط في المفاهيمِ عند أصحاب هذا الفكر، بينَ ما هو من (العقيدة) وما هو من (السِّياسَة). فليس الأخذ عليهم أنهم انتقدوا بعض المواقفِ، لأنَّنَا لا نرىٰ النقد إساءة، والصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ وأرضاهم قد اختلفوا فِيمَا بينهم، ولا ينتقص ذلك من قدرهم ومكانتهم في شيء. وعلىٰ الرَّغم من أنَّ النَّقدَ قد تجاوزَ في بعضِ المواضعِ المواقفَ إلىٰ الأشخاصِ بعبارات رأىٰ الكثيرون فيها إساءة - كما حدث من سيِّد قطب في كتابيه «العدالة الاجتماعية في الإسلام» و«كتب وشخصيات»- إلا أنَّ

للأمر أبعاد أوسع من ذلك. انظر -مثلًا- لعبارة المودودي: «فأما الجاهلية المحضة، فعمدت إلىٰ الدَّولة فهَيْمَنت عليها وانقلبت الخلافةُ قيصرية جاء الإسلام يقطعُ دابرها، ولم يبقَ فيها من الخلافة إلا اسمها». هذه العبارة أوردها المودوديُّ بعد أن سبَقَ وعرَّف الجاهليَّةَ المحضةَ بأنها الإنكار التام للألوهية، وبأن هذا الكون قد نشأَ بالمُصادَفة، فكيف أدَّىٰ تغيّر صورة الحكم من الخلافة إلىٰ المُلك إلىٰ الجاهلية المحضة وهي إنكار الألوهية والاعتقاد بأن الكون نشأ بالمصادفة؟ إن هذه الفكرة المُلتبسة، ترتَّب عليها عنده أن رفض الإنتاج الفكري لهذه الحِقبة بأكمله، من فنون وآداب وفلسفة، لأنها عنده نتاج الجاهلية، وهذا هو الَّذِي نقصده بالانتقال من النَّقد السياسي لحِقبَةٍ من الحِقَبِ إلىٰ التجهيل والتكفير. أمّا سيد قطب، فنفهم من استعراضنا للنصوص أنه يُسقط خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه من الخلافة الراشدة، ويصف فترة حكمه بالفجوة. كما يصف الخروج عليه - والذي انتهىٰ بمقتله - بأنه فورة من روح الإسلام. وتتجلىٰ من خلال هذه الرؤية إشكالية الخلط بين المعارضة السياسية لبعض المواقف، والحكم الأخلاقي والديني علىٰ أصحاب هذه المواقف. فقد قسّم المشهد إلىٰ معسكرين : معسكر يجافي روح الإسلام ومعسكر ينتمي لروح الإسلام. وهو تقسيم مسيء وجائر، ويتجاوز المعارضة السياسية في إطارها المقبول إلىٰ الإساءة المرفوضة لمقام الصحابي الجليل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وهذا الانتقالُ من معارضة السياسات إلىٰ الخوض في النوايا الاعتقادية، تتضح خطورته عند أتباع سيِّد قطب، فلا يتحرَّج الواحدُ من أصحاب هذا المنهج أن يطعن في عقيدة هذا أو ذاك في مَيدَانِ الخلاف السِّياسيِّ، ولقد رأينا الأحزابَ السِّياسِيَّة التي تمثِّل ما تَسمَّىٰ بـ(تيار الإسلام السياسي) بعد الثورات العربية الأخيرة تُحفِّز الناس علىٰ دعمهم الانتخابي، باستخدام عبارات نُصْرَة الدين، وغزوة الصناديق، إلىٰ آخر هذا الاستخدام المُبتَذَل للمعاني الدينية السامية في غمار التَّنَافُسِ السياسي، وهو ما يأخذنا إلىٰ النُّقطة الأساسيَّة التي يدور حولَهَا البحثُ، وهي احتكار الصوابيَّة الدينية من خلال مفهوم (العُصبة المؤمنة).

الفصلُ الثَّالثُ
تَبلورُ مفهوم العُصبة المُؤمنة
في كتابات سيِّد قطب وَمآلَاتِه

تَوطِئَةٌ:

سبقَ وذكرنا في اصطلاح مفهُومِ العُصبة المُؤمنة لدىٰ أصحاب الفكر التكفيريِّ أنه يُشير إلىٰ تكوين جماعة منَ الأفراد وَزَعمهم بأنَّهُم يُمثِّلُون صحيحَ الدِّين بشكلٍ حصريٍّ دُونًا عن سائر المسلمين، وَفِي وصفهم بالعُصبة إِشارة إلىٰ قلَّةِ عدَدِهِم وَنُدرَة وُجُودِهم في مقابل السَّوَاد الأعظمِ مِنَ المسلمينَ الَّذين هُم في ضلالٍ حسبما يدَّعُونَ. وأشرنا كذلك إلىٰ أن مَفهُومَي الحاكميَّة والجاهليَّة كانَا نقطة انطلاق الدعوةِ لِإيجاد هذه العُصبة المُؤمنة، فبعد تكفير المسلمين، تكون الخطوة التالية هي دعوتهم للدخول في الإسلام من جديد.

وعلىٰ الرغم من سَبقِ تكوين بعض هذه الجماعات لكتابات سيِّد قطب الَّتِي بَلوَرَ فيها رُؤيَتَهُ للمُصطلح، كجماعة الإخوان المسلمين التي أَسَّسَها حسن البنا عام ١٩٢٨م، إلا أننا نختارُ هُنَا الطَّرح القُطْبي للمناقشة والنَّقد بشكلٍ رئيسي، وننطلق منه إلىٰ غيره من كتابات السابق له (حسن البنا) واللاحقين كُلَّمَا لزم الأمر، ويرجعُ اختيَارُنا هذا إلىٰ عدَّةِ أسباب. أَوَّلُهَا

أنَّ سيِّد قطب يمتازُ بوضوح عباراتِه في وصف سِمَات هذهِ العُصبة كما دَعَا إليها، وفي رَسمِ خطوات الطَّرِيق الَّذِي أرادَ مِنها أن تَنتَهِجَه. وقد برز دوره، وتبلورت رؤيته، بانضمامه لجماعة الإخوان المسلمين. حيث عمل كرئيس قسم الدعوة بالجماعة، ورأسَ تحرير مجلة الإخوان المسلمين، فكان له أثر كبير في توجه الجماعة الفكري، وتعد كتاباته مرجعًا رئيسيًا لأعضائها. كما كان له دور بالغ الخطورةِ علىٰ الصَّعِيد الحَرَكِيِّ، حيث خطَّطَ باعترافِه لمجموعة من العمليَّات التي تستهدف تدميرَ مرافق الدَّولَة كالقناطر الخيرية[1]، فجمعَ بينَ الفكرِ والتنفيذِ، بما يجعلُ أُطرُوحته نموذجيَّة لمن أرادَ الوقوفَ علىٰ أَوجُهِ العَوَار في المصطلح ومقاصدِه. وبمطالعة كتاباتِ ومنشوراتِ من تَلاهُ ممَّن سَارُوا علىٰ نَهْجِهِ، نجد التأثُّرَ به بالغ الوضوح، إما باستلهام أفكاره واقتباس عباراته ومُفرداته، وإما بتصريح هؤلاءِ بتقديرِهم لهُ وبأَثَرِهِ البالغ في نشأَتِهِم الفكريَّة، كما صرَّح بذلك أيمن الظواهري، وغيرُه في أكثر من مناسبة[2].

(١) ورد ذلك في وثيقة (لماذا أعدموني) التي كتبها ثم نشرت بعد وفاته.

(٢) يُنظر ما جاء في رسالة أيمن الظواهري (فرسان تحت راية النبي) حول مركزية الفكر القطبي لدي القاعدة، ووصف سيِّد قطب بأنه مؤسس الحركة الجهادية المعاصرة. كذلك بث أيمن الظواهري مقطعا مسجلًا (متوفر علي شبكة الانترنت) في مارس ٢٠١٨ يدافع فيه عن سيِّد قطب وفكر جماعة الإخوان المسلمين. ويؤكد أيمن الظواهري أن أسامة بن لادن قد أنضم لجماعة الإخوان المسلمين قبل إنشاء القاعدة. يؤكد ذلك ما جاء في حوار مع والدة أسامة بن لادن المنشور في صحيفة (الجارديان البريطانية) بتاريخ ٣ أغسطس ٢٠١٨.

والسؤال الَّذِي نُنَاقشه هو: كيف رَسَمَ سيِّد قُطب لعُصبَتِه الطريقَ؟

ونرىٰ أَنَّه يمكن تلخيص المَسَار التَّكْوِيني للعُصبَة المُؤمنة في ثلاث خطوات:

الأولىٰ: الإيجَادُ.

الثَّانيةُ: استبانةُ السَّبِيلِ.

الثَّالثَة: العُزلة الشُّعُوريَّة.

وفيما يَلِي نناقش كلًّا مِن هذه الخطوات وما يُصَاحبها من مفاهيمَ علىٰ حدة.

أوَّلًا: الإيجَادُ:

هل العُصبَةُ المُؤمِنةُ دعوةٌ إصلاحيَّةٌ؟

إن دعوةَ سيِّد قطب إلىٰ العُصبَة المُؤمِنة لم تكن دعوةً إصلاحيَّةً، كالتي أطلقها الكثير من رجال الدين والمفكرين الَّذِين عنوا بنهضة الأمة الإسلاميَّة وبحثُوا في أسباب تأخُّرِها المُعاصِر، وعملوا علىٰ تقدِيم الحُلُولِ لآفاتِ وَاقِعنا، فلو كان الأمرُ كذلك لكان فِعلُهُ مَحمُودًا. لم تكن دَعوَته إصلاحيَّة، لأن الدعوةَ إلىٰ الإصلاحِ تقتضِي اعترافَه بوجودِ ما يسعىٰ لإصلَاحِه، لكن سيِّد قطب لم يعترفْ بوجودِ الأمَّة الإسلاميَّة من الأساسِ، وأَكَّد في أكثر من موضع أنَّ دعوته إِنَّما هي دعوة (**إيجاد**) العُصبَة المؤمنة

لانقطاع الإسلام عن الوجودِ، لا دعوة إصلاح. إذ يقول:

«كذلك يجب أن يكون مفهومًا لأصحاب الدَّعوَة الإسلاميَّة، أنهم حين يَدعُون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين، يجب أن يدعوهم أولًا إلىٰ اعتناق العقيدة - حتىٰ ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين! وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون - يجب أن يُعلِّمُوهم أن الإسلام هو أولًا إقرار عقيدة: لا إله إلا الله بمدلُولِها الحقيقيِّ وهو رد الحاكميَّة لله في أمرِهِم كُلِّه، وطرد المعتدين علىٰ سلطان الله بادِّعَاء هذا الحق لأنفسهم. إقرارها في ضمائرهم وشعائرهم، وإقرارها في أوضاعهم وواقعهم. ولتكن هذه القضية هي أساسُ دعوة النَّاس إلىٰ الإسلام كما كانت هي أساسُ دعوتهم إلىٰ الإسلام أوَّل مرَّة. هذه الدَّعوة التي تكفَّل بها القرآن المكيُّ طُوال ثلاثة عشر عامًا كاملًا. فإذا دخل في هذا الدِّين - بمفهُومِهِ هذا الأصيل - عُصبة من الناس، فهذه العُصبَةُ هي التي تَصلُح لمزاولة النِّظَام الإسلامي في حياتها الاجتِماعيَّة؛ لأنها قرَّرَت بينها وبينَ نَفسِها أن تقومَ حياتَها علىٰ هذا الأساسِ؛ وألَّا تُحَكِّم في حياتها كلِّها إلا الله»[1].

ونستخلصُ من الفقرةِ السابقة ما يلي:

١ - أنَّ دعوتَه هي دعوة الناسِ لاعتناق الإسلام ابتداءً، حتىٰ ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين بحسب تعبيره. وفي هذا تأكيد وتطبيق عملي لِمَا ذهب إليه من تكفير وتجهيل أمة الإسلام.

(١) معالم في الطريق/ ص ٣٥.

٢- أنَّ العقيدة التي يدعو الناس إلىٰ اعتناقها ليست العقيدة بصورتها النَّقيَّة كما تقررت وترسَّخَت في فَهمِ الأُمَّة، وَإِنَّما هي العقيدةُ وَفْقَ مفاهيمه المبتَدَعَةِ ومصطلحه المستحدث، وهو توحيد الحاكميَّة.

٣- حينَ تعتنقُ جماعة من الناس العقيدةَ بصورتها الَّتِي دعا إليها، عندها فحسب يوجد الإسلام، وتوجد العصبة المؤمنة الجديرة بوصف الإيمان، في مقابل جاهلية سائر الناس.

ويتكرَّرُ المعنىٰ عند سيِّد قطب في مواضعَ كثيرةٍ، فالقضيَّةُ ليست إصلاح أحوال المسلمين، وإنما إنشاء هذا الدين من جديد حسبما يزعم. يقول في تعقيبه علىٰ وقائعَ غزوة بدر:

«إنَّ العصبة المسلمة التي تُجاهِدُ اليوم لإعادة النَّشأَة الإسلاميَّة في الأرض - بعدما غلبت عليها الجاهلية - لَجَديرةٌ بأنْ تقفَ طويلًا أمام (بدر) وقيمها الحاسمة»[1].

ويقولُ:

«الموازين والقِيَم والتَّوجِيهات العامَّة لبدر وملابساتها ونتائجها والتعقيبات القرآنية عليها ما تزال تواجِه وتوجِّه موقفَ العُصْبة المُسْلمة في كلِّ مرحلةٍ من مراحِلِ الحركَةِ، ذلك أنَّها موازين وقِيَم وتوجيهات كليَّة ودائِمَة ما دامت السماوات والأرض، وما كانت عصبة مسلمة في هذه

(١) في ظلال القرآن/ ص ١٤٨٢.

الأرض، تجاهدُ في وجه الجَاهليَّة لإعادة النشأة الإسلامية» [1].

إنَّ نصوص سيِّد قطب من الوضوح بحيث لا تحتاج إلىٰ تَبيينٍ، ولا تقبلُ تأويلًا. فالرجل يُقرُّ بوضوحٍ تامٍ أنَّ دعوتَهُ ليست دعوةَ إصلاحٍ تنطلق من أرضيَّةٍ مشتركةٍ منَ الدِّين، وإنما هي كدَعوَة النَّبِيِّ في قومِهِ، دعوةٍ إلىٰ إيجاد الإسلامِ في أرضِ الجاهليَّة والكفرِ، ويقول بِلَهجَةٍ حاسمةٍ:

«ليست مُهمَّتُنا أن نُصطلحَ مع واقعِ هذا المجتمعِ الجاهليِّ، ولا أن ندين بالولاءِ له، فهو بهذه الصِّفَة - صفة الجاهليَّة - غير قابل لأنْ نصطلح معه. إنَّ مهمَّتنا أن نغيِّرَ من أنفسِنَا أولًا، لنُغَيِّر هذا المجتمع أخيرًا. إن مهمتنا الأولىٰ هي تغيير واقع هذا المجتمع. مهمَّتُنا هي تغيير هذا الواقع الجاهليِّ مِن أَسَاسِهِ» [2].

هَل مفهومُ العُصبة أو الجماعة تطبيق للحَثِّ الإلهي على الأمرِ بالمَعروفِ والنَّهي عن المنكرِ؟

مِن هُنا، وبعد إبراز المُفارقَة بين الدَّعوة الإصلاحيَّة ودعوة سيِّد قطب إلىٰ إيجاد العُصبَة المُؤمنة، نُنبِّهُ علىٰ الفخِّ الَّذِي يقع فيه الكثيرُ منَ الشباب الصادق في رغبته لإعلاء شأن الأمَّة الإسلاميَّة وتجديد حضارتِها، إلا أنَّه ينخدع بما يعرضُهُ عليه أصحاب هذه الجماعات في بداية الدَّعوَة من قشورٍ، دون إِطْلاعِهِ علىٰ الصُّورةِ الكَامِلَة. فإن كثيرًا ما يَرِدُ هذا التساؤل: وما المشكلة

(١) في ظلال القرآن / ص١٤٨٢.

(٢) معالم في الطريق/ ص١٩.

في وجودِ جماعةٍ تدعو إلىٰ التَّمَسُّك بقِيَمِ هذا الدِّين؟ ألسنا مَأمُورين بالأَمْرِ بالمَعرُوف والنَّهي عنِ المُنكَرِ؟

والجواب كما سبق وقلنا بأنَّ دعوة الإصلاح دعوةٌ محمودةٌ، أمَّا الادِّعاء بغيابِ الدِّين عن صُدُور المؤمنين، ودعوتهم للدُّخول في دين اللهِ من جديد، فإنَّها إساءة لا نُصح، وتكفير يأثم صاحبُه ويرفضه المُخاطَب به إن كان به غَيرَةٌ علىٰ دينه، فالأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر إنما يكون في أُمَّةِ المسلمين، ويقوم به فاعله بدافِعِ المحبَّة والوفاء بواجباتِ الأُخُوَّةِ والحفاظ علىٰ وَحدَةِ وتماسك المجتمع المسلم، أمَّا تَجريدُ المسلم من أعزِّ ما لديه وهو دِينُه، احتقارٌ له وجنايةٌ عليه لا تجوزُ.

فهناك فرقٌ شاسعٌ بين زَعم أفراد معدودين من المسلمين أنَّهم علىٰ الإسلام وسائر الأمة علىٰ الجاهليَّة والشرك كما تفعل عُصبَة سيِّد قطب، وبين قيام المسلمين فيما بينهم بالأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنكرِ، انطلاقا من مبدأ الأُخَّوةِ في الدِّين، والتشارُكِ في المجتمع، والرَّغبة الخيِّرَة في تحقيق النَّفعِ العام، سواء كان ذلك علىٰ مستوًىٰ فرديٍّ، أو مستوًىٰ جَمعيٍّ يتمثَّلُ في المؤسَّسَات المُختلفة. فالدعوتان تنطلقان من أرضيَّتَين تختلفانِ جملةً وتفصيلًا، والنُّصوصُ الدينيَّةُ جعلت من الأُخُوَّة في الدِّين مُنطلقًا للأمْرِ بالمَعرُوف والنَّهي عن المنكرِ بين المسلمين، فكيف يجتمع ذلك وتكفيرهم؟

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ففي الآية الكريمة يخاطبُ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أُمَّةَ المسلمينَ بأَسرِها، الناصحَ والمنصوح، وجعلَ النُّصحَ بين أفرادِ المُجتمع من أَسباب خيريَّة هذه الأمَّة. فأين هذا من ادِّعاء غياب الإسلام بالكليَّة مِن علىٰ ظهر الأرضِ ودعوة المسلمين إلىٰ الدخول في دين الله من جديد؟ ويتأكَّدُ المعنىٰ من خلال الأحاديث النبوية الشَّريفة التي تحثُّ علىٰ التناصح بين المسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ يقول النَّبيُّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«انْصُرْ أخاكَ ظالِمًا أوْ مَظْلُومًا، فقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ، أنْصُرُهُ إذا كانَ مَظْلُومًا، أفَرَأَيْتَ إذَا كانَ ظالِمًا كيفَ أنْصُرُهُ؟ قالَ: تَحْجُزُهُ، أوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فإنَّ ذلكَ نَصْرُهُ» [رواه البخاري].

وفي الحديث تأكيدٌ علىٰ الأُخُوَّة في الدِّين رغم وقوع الظُّلم من صاحبه، وإرشادٌ لطيف من النبيِّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحو الدوافع الطَّيِّبة التي يجب علىٰ المسلم أن ينطَلِقَ منها لنُصحِ أخيه، وهي نُصرَته وتحصيل الفائدة له بدعوته إلىٰ الخير. فليس الباعثُ علىٰ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكرِ تكفير الآخر، وإنما البَاعث الوفاء بواجبَاتِ الأُخُوَّة في الدِّين. فأين هذه الرُّؤية الرَّحيمة المشفقة من الدعاوىٰ التكفيرية الفجَّةِ؟

- مآلاتُ مفهوم العُصبة المُؤمنة:

منَ اللَّحظة التي تتشكَّل فيها العصبةُ المؤمنةُ الأولىٰ التي تَدين بأفكار سيِّد قطب، نرىٰ انحرافًا حادًّا في التصُّورات والسلوكيَّات لدىٰ أبناء هذه العُصبة. فإنهم ليسوا حزبًا سياسيًّا، ولا جماعة خيريَّة، ولا أي من هذه الكِيانات التي يؤخذ منها ويُرَدُّ عليها، إنَّهم (العُصبة المؤمنة)! المؤمنون الأوائل كما كانت الجَمَاعة المُسلِمَة الأُولَىٰ في زمَنِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وبِذَلك تكون المخالفةُ لما تطرحه هذه العُصبَة من أفكارٍ مخالِفة للدِّين ذاتِه، والصراع معها إنَّما هو صراعٌ بين الإيمان والكفر. وانبرىٰ سيِّد قطب في تفسيره الظلال يؤكد هذه المعاني بوسيلتين:

الأولي: الاستشهاد بالآيات القرآنيَّة في غير مَنْ نزلتْ فيهم، وذلك بتنزيل الآيات الواردة في حقِّ الكافرين علىٰ المؤمنين، وهو نِتاج تكفيره لهم.

الثَّانية: تفسير الآيات متغاضيًا عن سِيَاقها ومناسبة نزولها، وابتداع معانٍ في تفسيرها تتعارض ليس فقط مع نِتَاج العلماء السَّابقين في التفسير، بل ومع ما تقتضيه الألفاظ من النَّاحية اللُّغويَّة، كما سَنبيِّن في بعض الأمثلة.

فكانت النَّتِيجةُ كما سنرىٰ فِي الخُطوات التَّالية طرحًا مُشَوَّهًا، يَخلِط فيه بين ما يُقالُ في حقِّ المؤمنَ وما يُقالُ في حقِّ الكافر، ويَبتَدِعُ من المعاني ما يتنَافىٰ مع مقاصدِ الآيات، وكان كذلك ما رأينا الأمس وما نراه اليوم من عشرات العُصَب التي ترفع السلاحَ في وجه الآمنين، من المسلمين

وغيرهم، وهم في تَنكِيلهم بِالمُسلمين أَعتَىٰ وَأَشدّ، وقد زَعَمَتْ كلُّ جماعةٍ أَنَّها التمثيل الصحيح للعقيدةِ، وحامية حمىٰ الدين، وأَنَّ الله اختارها لتقوِّض الجاهلية، وتقيم مملكته في الأرض.

❁❁❁

ثانيًا: استبانةُ السَّبيلِ:

التَّكْفيرُ نُقطَةُ انطلاقٍ:

يقول الله تعالىٰ:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأنعام: ٥٥].

يقرر سيِّد قطب في تفسير هذه الآية، أنَّ نقطةَ انطلاقِ عُصبتِه هي أن يقوموا بتكفير المسلمين دون تورُّع، ومن ثَمَّ الامتلاء بوَهمِ التميُّز عنهم والاصطفاء، وجَعل من هذا المسلك السبيل الوحيد لكي تتثبَّت هذه العصبة وتنطلق، مستخدمةً كل وسيلة لإزاحة كل الكِياناتِ المُغايرة لها وتقويض وُجُودها، وقد استَيقَنَتْ في نفسها أَنَّها الحق، وما سواها باطل.

نطالع ذلك في تفسيره للآيةِ، إذ يقولُ:

«**ومِن هُنَا يجب أن تبدَأَ كلُّ حَرَكةٍ إسلاميَّة بتحديدِ سبيل المؤمنينَ وسبيلِ المجرمينَ. يجب أن تبدأَ مِنْ تعريف سبيل المؤمنين وتعريف سبيل المجرمين؛ وَوَضْعِ العُنوان المميِّز للمؤمنين، والعنوان المميِّز للمجرمين،**

في عالم الواقع لا في عالم النظريَّات. فيعرف أصحابُ الدَّعوة الإسلاميَّة والحركة الإسلاميَّة مَن هُم المؤمنون ممن حولَهُم ومن هم المجرمون. بعد تحديد سبيل المؤمنين ومنهجهم وعلامتهم، وتحديد سبيل المجرمين ومنهجهم وعلامتهم. بحيث لا يختلط السبيلانِ ولا يتشابه العنوانانِ، ولا تلتبس الملامحُ والسماتُ بين المؤمنينَ والمجرمينَ.

وهذا التحديد كان قائمًا، وهذا الوضوح كان كاملًا، يوم كان الإسلام يواجه المشركينَ في الجزيرةِ العربيَّةِ فكانت سبيل المسلمين الصالحين هي سبيل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومَنْ معَهُ. وكانتْ سبيلُ المشركين المجرمين هي سبيلُ مَن لم يدخلْ معهم في هذا الدِّين. ومع هذا التحديد وهذا الوضوح كان القرآنُ يتنزَّلُ وكان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يفصلُ الآيات علىٰ ذلك النحو الَّذِي سبَقَتْ منه نَماذِج في السُّورة - ومنها ذلك النَّمُوذَج الأخير - لتستبين سبيل المجرمين! وحيثُمَا واجهَ الإسلامُ الشِّركَ والوثنيَّةَ والإلحادَ والدّيانات المُنحرفة المتخلفة من الدّيانات ذات الأصل السماوي بعدما بدَّلَتها وأفسدتها التحريفات البشرية، حيثما واجه الإسلامُ هذه الطوائف والملل، كانت سبيل المؤمنين الصالحين واضحةً، وسبيل المشركينَ الكافرين المجرمينَ واضحةً كذلك لا يُجدي معها التَّلْبِيس!

ولكن المشقَّة الكُبرىٰ الَّتِي تواجِه حَرَكَات الإسلامِ الحقيقيَّة اليوم ليست في شيءٍ من هذا. إنها تتمَثَّل في وجود أقوامٍ منَ النَّاس من سُلَالاتِ

المسلمين، في أوطان كانتْ في يوم من الأيَّام دارًا للإسلام، يُسيطر عليها دينُ اللهِ، وتحكُمُ بشريعتِهِ. ثم إذا هذه الأرض، وإذا هذه الأقوام، تَهْجُرُ الإسلامَ حقيقةً، وتُعلنُه اسمًا. وإذا هي تتنكَّرُ لِمُقوِّمَات الإسلام اعتقادًا وواقعًا. وَإِن ظنَّت أنَّهَا تدِين بالإسلامِ اعتقادًا»[1].

لنَا مع النَّصِّ السَّابِق أكثر مِن وقفةٍ:

١- إن سيِّد قطب لم يكن غافلًا عن مُرادِ اللهِ بالمجرمينَ، فهو يَعرفُ ويُقِرُّ أنَّ هذه الآيات نزلت في إجرَامِ الكافرينَ، برفضهم ما جاء به النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من دعوة الإسلام، وتكبُّرهم علَىٰ المُسلمين، وَأنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يواجهُ بدعوَتِه أهلَ الوثنيَّةِ والدّيانات المُحرَّفةِ عنْ أصلِها.

٢- لقد قام سيِّد قطب، بمكرٍ لا يَخفَىٰ، بتلبِيس المعانِي علىٰ القارِئ، وَإسقاطِ مُرادِ اللهِ في هذه الآية علىٰ واقعِنَا إسقاطًا مُلفَّقًا، بأن جعل أصحاب الحركة الإسلاميَّة اليوم (ويقصد بهم عصبتَهُ) امتدادَ النبيِّ ومَن معَهُ مِنَ المؤمنينَ، بينمَا سائر المسلمين في مُختلف البُلدان هم امتدادُ جماعةِ المجرمينَ، فهُمْ مسلمونَ بالاسمِ، وليس لهم من حقيقتِهِ شيءٌ، فهم المجرمون وَإِن ظَنُّوا أنَّهُم يدينون بعقيدة الإسلامِ!

٣- يرىٰ سيِّد قطب أنَّ عدم الاستبَانَة، أي عدمُ نعْتِ المُسلمِينَ بالإجرامِ والكُفر، هو أخطرُ ما تواجِهُهُ الحركات الإسلاميَّة اليوم! وهذا الَّذِي قصدناه

(١) في ظلال القرآن/ ص ١١٠٦.

بقولنا أنَّ التكفير هو نقطة الانطلاق لهذه العصبة. يقول:

«وفي الأرض اليوم أقوامٌ من الناس أسماؤهم أسماءُ المسلمين، وهم من سلالات المسلمين. وفيها أوطان كانت في يوم من الأيام دارًا للإسلام، ولكن لا الأقوام اليوم تشهد أن لا إله إلا الله - بذلك المدلول - ولا الأوطان اليوم تدين لله بمقتضىٰ هذا المدلول. وهذا أشق ما تواجهه حركات الإسلام الحقيقيَّة في هذه الأوطان مع هؤلاء الأقوام! أشق ما تعانيه هذه الحركات هو الغَبش والغموض واللبس الَّذِي أحاط بمدلول لا إله إلا اللهُ، ومدلول الإسلام في جانبٍ، وبمدلول الشرك وبمدلول الجاهلية في الجانبِ الآخر. أشقُّ ما تعانيه هذه الحركات هو عدم استبانة طريق المسلمين الصالحين، وطريق المشركين المجرمينَ، واختلاط الشَّاراتِ والعناوين، والتباس الأسماء والصفات، والتيه الَّذِي لا تتحدد فيه مفارق الطريق»[1].

٤- إنَّ دعوة سيِّد قطب لاستبانة السبيل بالبدء بتكفير المسلمين ليست دعوةً عابرةً، وليست تعبيرًا أدبيًّا غيرَ مقصودٍ بذاته كما يُرَوِّجُ البعضَ. يتأكد لنا ذلك حين نُطالِعُ النَّصَّ التالي من تفسيره، وفيه يعارض النهيَّ عن تكفير المسلمينَ، ويسمِّي النهيَ عن تكفيرهم بالمُدَاهنَة والمُمَايَعة في دين الله! يقول:

«ويَعرِفُ أعداءُ الحركاتِ الإسلاميَّة هذه الثغرةَ. فيعكفون عليها توسيعًا وتمييعًا وتلبيسًا وتخليطًا. حتىٰ يصبح الجهر بكلمة الفصل تُهمة

(١) في ظلال القرآن/ ص ١١٠٦- ١١٠٧.

يُؤخَذُ عليها بالنَّوَاصِي والأقدَامِ! تهمة تكفير «المسلمين!» ويصبح الحُكمُ في أمر الإسلام والكفر مسألة المرجع فيها لعُرف الناس واصطلاحهم، لا إلىٰ قول الله ولا إلىٰ قول رسول الله! هذه هي المشقة الكُبْرىٰ، وهذه كذلك هي العَقَبَةُ الأولىٰ التي لابُدَّ أن يجتازها أصحابُ الدَّعوَةِ إلىٰ الله في كل جِيلٍ! يجبُ أن تبدأ الدعوة إلىٰ الله باستبانة سبيل المؤمنين وسبيل المجرمين، ويجب ألا تأخذَ أصحاب الدعوة إلىٰ الله في كلمة الحق والفصل هوادة ولا مداهنة. وألا تأخذهم فيها خشية ولا خوف، وألا تقعدهم عنها لومة لائم، ولا صيحة صائح: انظروا! إنهم يُكفِّرُون المسلمين! أجل يجب أن يجتاز أصحابُ الدَّعوة إلىٰ الله هذه العقبةَ، وأن تتمَّ في نفوسهم هذه الاستبانة، كي تنطلق طاقاتهم كلها في سبيل الله لا تصدها شبهة، ولا يعوقها غَبشٌ، ولا يُميِّعُها لَبْسٌ. فإن طاقاتهم لا تنطلق إلا إذا اعتقدوا في يقينٍ أنَّهُم هم «المسلمون» وأن الذين يقفون في طريقهم ويَصدونهم ويصدون الناس عن سبيل الله هم «المجرمون». كذلك فإنهم لن يحتملوا متاعبَ الطريقِ إلا إذا استيقنوا أنها قضية كفر وإيمان. وأنهم وقومهم علىٰ مفرق الطريق، وأنهم علىٰ ملَّةٍ وقومهم علىٰ مِلَّةٍ. وأنهم في دين وقومهم في دين»[1].

والنص السابق لا يحتملُ التأويلَ، ولا يحتاج إلىٰ تعليقٍ!

(١) في ظلال القرآن/ ص ١١٠٥.

إلا أننا نسأل: بأي وجهٍ يتساءلُ أصحاب هذا الفكر عن أسباب رفضِ قِطَاعٍ عريضٍ منَ النَّاسِ لِجَمَاعتهم ويتخوَّفُون من حُضُورها السِّيَاسي؟ الجواب يَكمُن عندهم، فهم لا يُعرِّفون أنفسَهُم في أدبيَّاتِهم كجماعةٍ يُؤخَذُ منها ويُرَدُّ عليها، وإنما هم في نظر أنفسهم الدِّين ذاته، ومخالفة رؤيتهم كفر وإجرام، فكيف يأمنُ الناسُ علىٰ أنفسهم إذا ملك أمرهم من يراهم كفرة ومجرمين؟

❁❁❁

رسوخُ مبدأ النَّهي عن تكفيرِ المسلمين في النُّصُوص الدِّينيَّة:

إنَّ النهيَ عن تكفيرِ المسلمين ليس تمييعًا ولا مداهنةً كما يزعُم سيِّد قطب، بل هو مبدأٌ راسخٌ رسوخَ الجبالِ في النُّصوصِ الدِّينيَّة، وفي فَهمِ عُلَماء الأمَّةِ منذ عهد الصحابة والتابعين إلىٰ اليوم، فلم يألوا جهدًا في التحذير من هذا المسلك الوعر، لأنَّه بابٌ عظيمٌ من أبوابِ الفتنِ.

إنَّ النهيَّ عن تكفيرِ المسلمين والحكم علىٰ سرائرهم ثابت في القرآن الكريم:

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤].

تتجلي في هذه الآية الكريمة سِعةُ الرَّحمَة الإلَهيَّة، وأمره لعباده من المسلمين أن يحسنوا الظَنَّ في خلقه، وأن ينتهوا عن الحُكمِ علىٰ السرائر، فيَنهَاهم عن تَكفِير مَن نطق بكلمة الإسلام ولو في ساحَة الحرب، وألا يتقَوَّلُوا عليه أنه ينطق بها لِيعْصِمَ نفَسهُ فحسب دون أن يصدق، وينفرهم الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بأن يعلل سلوك من يُقدِم علىٰ ذلك منهم بالطَّمعِ في مغانم الدنيا، حتىٰ لا يدَّعِي أحدٌ أن اتهامه حميَّةً للدين يرتضيها الله منه، بل هو إثم ينهىٰ الله عنه.

جاء في تفسير البيضاوي:

﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ﴾ [النساء: ٩٤] **أي أول ما دخلتم في الإسلام تفوَّهتُم بكلمتي الشهادة فحُصِّنَت بها دماؤكم وأموالكم من غير أن يعلم مواطأة قلوبكم ألسنتكم.** ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٤] **بالاشتهار بالإيمان والاستقامة في الدين.** ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [النساء: ٩٤] **وافعلوا بالدَّاخلين في الإسلام كما فعل اللهُ بكم، ولا تبادروا إلىٰ قتلهم ظنًا بأنهم دخلوا فيه اتقاءً وخوفًا، فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم»**[1].

وإِنَّ الروايات التي جاءت في كتب التفاسير في سبب نزول هذه الآية فيها من العبرة ما يردَعُ كلَّ ذي عقلٍ واعٍ وضمير يَقِظٍ عن الخوض في إيمان المسلمين، فلئن كان هذا النهيُّ شديد اللَّهجَة في حق مَن تفوَّه بكلمة الإسلام فحسب، فما بال سيِّد قطب ومن ساروا علىٰ نهجه يخوضون في

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل/ ناصر الدين البيضاوي/ دار إحياء التراث العربي/ ج ٢/ ص٩١.

إيمان عباد الله، الذين استقرَّ إسلامهم جيلًا بعد جيل، ولهم من شواهد الإيمان والقيام بأركان الإسلام ما يصعب حصره؟

أما الأحاديث الشريفة التي تنهىٰ عن تكفير المسلمين، فإنها كثيرة، وقد عدَّ فضيلة الشيخ محمد زكي إبراهيم ثلاثين حديثًا ثابتًا عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا الباب[1]، ونورد من الأحاديث:

عن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَن صَلَّىٰ صَلَاتَنَا واسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذلكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَه ذِمَّةُ اللهِ وذِمَّةُ رَسولِهِ، فلا تُخْفِرُوا اللهَ في ذِمَّتِهِ» [رواه البخاري].

عن ثابت بن الضَحَّاك قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«...ومَن رَمَىٰ مُؤْمِنًا بكُفْرٍ فَهو كَقَتْلِهِ» [رواه البخاري].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«بَعَثَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اليَمَنِ بذُهَيْبَةٍ في أدِيمٍ مَقْرُوظٍ، لَمْ تُحَصَّلْ مِن تُرَابِهَا، قالَ: فَقَسَمَهَا بيْنَ أرْبَعَةِ نَفَرٍ، بيْنَ عُيَيْنَةَ بنِ بَدْرٍ، وأَقْرَعَ بنِ حابِسٍ، وزَيْدِ الخَيْلِ، والرَّابِعُ: إمَّا عَلْقَمَةُ وإمَّا عَامِرُ بنُ الطُّفَيْلِ، فَقالَ رَجُلٌ مِن أصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أحَقَّ بهذا مِن هَؤُلَاءِ، قالَ: فَبَلَغَ ذلكَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ: ألَا تَأْمَنُونِي وأَنَا أمِينُ مَن في السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا ومَسَاءً، قالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ العَيْنَيْنِ،

(١) انظر: أهل القبلة كلهم موحدون، محمد زكي إبراهيم، الطبعة الأولي ١٩٨٧م.

مُشْرِفُ الوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الإِزَارِ، فَقَالَ يا رَسولَ اللهِ، اتَّقِ اللهَ، قالَ: ويْلَكَ، أوَلَسْتُ أحَقَّ أهْلِ الأرْضِ أنْ يَتَّقِيَ اللهَ؟! قالَ: ثُمَّ ولَّىٰ الرَّجُلُ، قالَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ: يا رَسولَ اللهِ، ألَا أضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قالَ: لَا، لَعَلَّهُ أنْ يَكونَ يُصَلِّي، فَقالَ خَالِدٌ: وكَمْ مِن مُصَلٍّ يقولُ بلِسَانِهِ ما ليسَ في قَلْبِهِ، قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنِّي لَمْ أُومَرْ أنْ أنْقُبَ عن قُلُوبِ النَّاسِ ولَا أشُقَّ بُطُونَهُمْ» [رواه البخاري ومسلم].

عن أبي حُذيفةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ:

«إنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّىٰ إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ، وَكَانَ رِدْئًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَىٰ مَا شَاءَ اللهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَىٰ عَلَىٰ جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَىٰ بِالشِّرْكِ، الْمَرْمِيُّ أَمِ الرَّامِي ؟ قَالَ: بَلِ الرَّامِي». [رواه ابن حبان]

وإن هذا الحديث فضلًا عن كونه تحذير من النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فإن فيه من دلائل نبوته ما لا ينكره منصف. وانظر ما في الحديث من إشارات خطيرة، فإن هذا الَّذِي يكفِّرُ جارَه، ثم يخرج عليه بسلاحه يقاتله، بزعم الدفاع عن الدين والقضاء علىٰ الشرك، كان قد سبق ورأىٰ الناسُ عليه بهجةَ القرآن! إنه مُخَرِّب، وآثم، وقاتل، لكن لا تنتظر أن تراه في صورة البلطجي الجاهل، بل سيأتيك يتلو آيات الله، يتشدق بألفاظه في حركاته وسكناته، إلا أنه كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**غيّره إلىٰ ما شاء الله**»، لا بتحريف نص فلا سبيل إلىٰ

ذلك، وإنما بتأويلات فاسدة تحكمها الأهواء، يبرأ منها كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ولقد صار أهلُ العلم والتثبُّت في كل عصر علىٰ نهج القرآن الكريم ونهجِ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فحذَّرُوا بأشدّ العبارات من مسلك التكفير، وإن أقوالهم في ذلك لا سبيل إلىٰ حصرها لمن أراد الرجوع إليها. إنما أوردنا الثابت من القرآن الكريم والأحاديث الشريفة لنَرُدَّ قول القائل بأن الناس قد داهنوا بالنهي عن التكفير.

❁❁❁

العُصبَةُ المؤمنةُ: استدعاءٌ لمفهُوم الفرقة النَّاجية وأوهام الاصطفاء:

ويجدُر بنا قبل الانتقال إلىٰ الخُطوة التالية التي رَسَمَها سيِّد قطب لعُصبته، أن نُشير إلىٰ مفهومٍ بالغ الخطورة تتذرَّعُ به جماعاتُ الفِكرِ التَكفِيرِيِّ، وتحسبه من أدلة السنة الشريفة علىٰ صحة ما ذهبوا إليه من أوهام الاصطفاء الزائفة واحتكار النجاة، وهو مفهوم (الفِرقة النَّاجِية).

إلا أننا قبل تناول المفهوم في سياق الحديث الشريف، يهُمُّنَا أن نستعرض أصداء هذه الفكرة التي سيطرت علىٰ عقول أصحاب هذه الفكر بغض النظر عن تمسكهم بمصطلح الفِرقَة النَّاجية بلفظه من عدمه، ونقصد بها فكرة الاصطفاء علىٰ سائر المسلمين بالانخراط في (الجماعة)، وكيف تطوَّرت من مجرَّد الاصطفاء الَّذِي قد يعترفون معه لغيرهم بفضل وإن

ظلوا في مرتبة أدنىٰ، إلىٰ احتكار الصَّوَابيَّة الدينية، فصارت الجماعة ليست وسيلة تنظيم وتوحيد جهود فحسب، بل هي وحدها (الجماعةُ المؤمنةُ).

فإذا تأمَّلنا مسيرةَ جماعة (الإخوان المسلمين)، نجد فكرة الاصطفاء سابقة للمرحلة القُطبِيَّة، فإنها موجودة وثابتة في رسائل مؤسس الجماعة (حسن البنا). وحسن البنا لم يكن كاتبًا بالمعنىٰ الاحترافِيِّ كسيِّد قُطب، فلم يعتَمِدْ علىٰ التَّنظِير المكتوب لِأُسُس جماعته، ولم يَعْتَنِ بِصَكِّ المُصطَلَحاتِ كما فعل. إلا أن هذه الفكرة لا تخفىٰ في كلماته.

علىٰ سبيل المثال، انظر قوله تحت عنوان إسلام الإخوان المسلمين[1]):

«هكذا نرىٰ أنَّ شمول معنىٰ الإسلام قد أَكْسبَ فكرتنا شمولًا لكل مناحِي الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلىٰ كل هذه النواحي، وهم في الوقت الَّذِي يتجه فيه غيرهم إلىٰ ناحية واحدة دون غيرها يتَّجِهُون إليها جميعًا ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعًا».

ونفهَمُ من ذلك أنَّ جماعة الإخوان المسلمين قد فَهمت (وحدها) الإسلام بصورته الشاملة، في حين تفرَّقَت الجزئِيَّات عند الآخرين. ويقول في رسالة أخرىٰ:

«نحن ندعو الناس إلىٰ (مبدأ)، مبدأ واضح محدود مُسلَّم به منهم

(١) رسالة «المؤتمر الخامس»، من (رسائل الإمام حسن البنا)، نقلا عن (الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين) علي شبكة الإنترنت.

جميعًا، هم جميعًا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيَّته ويعلمون أنَّ فيه خلاصَهُم وإسعادَهُم وراحتَهُم، مبدأ أثبتت التجربة وحكم التَّاريخ صلاحيَّته للخلود وأهليَّتَهُ لإصلاح الوجود. والفرق بيننا وبين قومِنَا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا علىٰ حكمِه ولا أن يعملون بمقتضاهُ، علىٰ حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين»[1].

فتأمَّلْ المقارنة بين الإيمان الْيَقِظِ في نفوس إخوان الجماعة، والإيمان المخدَّر في نفوس الآخرين. كذلك تَأَمَّلْ استخدام كلمة (قومنا)، وقد تكررت في أكثر من موضع من رسائله، لنفهمَ كيف يرىٰ حسن البنا جماعته في الناس. ويتأكد هذا الانطباع من خلال الفقرة التالية من الرسالة ذاتها، ونوردها كاملة رغم طول النص ليتبين المعنىٰ المقصود:

«وكل الَّذِي نريده منَ الناس أن يكونوا أمامنا واحدًا من أربعةٍ: مُؤمنٌ: إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا، ورأىٰ فيها خيرًا اطمأنَّت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتىٰ يكثُر به عدد المجاهدين ويعلوا بصوته صوت الداعين، ولا معنىٰ لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة في عقيدة لا تدفع صاحبها إلىٰ تحقيقِهَا

(١) رسالة «دعوتنا»، من (رسائل الإمام حسن البنا)، نقلا عن (الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين) علي شبكة الإنترنت.

والتضحيةِ في سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبيائه وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر وأن يكون لهم مثل ثواب من اتَّبعُوهم لا يُنقص ذلك من أجورِهم شيئًا. مُتردِّدٌ: وإما شخص لم يَستَبِن وجه الحق، ولم يتعرف في قولنا معنىٰ الإخلاص والفائدة، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنَّا من قريب أو بعيد، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلىٰ إخواننا، فسيطمئنّ بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المتردِّدِين من أتباع الرُّسل من قبل. نَفعيٌّ: وإما شخص لا يريد أن يبذل معونَتَهُ إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مَغنَمٍ فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصتَ، والجنة إن عَلِمَ فِيكَ خيرًا، أما نحن فمغمورون جاهًا فقراءُ مالًا، شأننا التضحية بما معنا وَبَذل ما في أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهو نعم المولىٰ ونعم النصير، فإنْ كَشَفَ اللهُ الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوسَ الطَّمعِ عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقىٰ، وسينضم إلىٰ كتيبة الله ليجود بما معه من عَرَضِ الحياة الدنيا لينالَ ثواب الله في العُقبىٰ، وما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن كانت الأخرىٰ فالله عني عمن لا يرىٰ لله الحق الأول في نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قوم مِنْ أشباهه حين أبوا مبايعَةَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن أعلمهم أن

الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين. متحاملٌ: وإما شخص أساء فينَا ظنَّه وأحاطت بنا شكوكَهُ، فهو لا يرانا إلا بِالمِنظَار الأَسوَدِ القاتم، ولا يتحدث عنَّا إلا بلسان المتحرِّج المُتشَكِّك، ويأبىٰ إلا أن يَلِجَ في غُرُورِه ويسدر في شكوكه ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحقَّ حقًّا ويرزقنا اتِّباعَه والباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابَه، وأن يلهمنا وَإيَّاه الرشدَ، ندعوه إن قَبِلَ الدعاء ونناديه إن أجابَ النِّدَاءَ وندعو الله فيه وهو أهل الرجاء، ولقد أنزل الله علىٰ نبيه الكريم في صنف من الناس﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]. **وهذا سنظل نحبه ونرجو فَيْئَهُ إلينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفىٰ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **من قبل: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»»**[1].

إنَّ الرجل يتحدَّثُ حديثَ النبيِّ في قومه، ولا نَقصد أنَّه يدِّعِي النبوةَ، وإنما نَقصدُ هذا التقسيم للناس، وتقييمه لدرجةِ إيمان الفرد بموقفِهِ من الجماعَةِ، وكأنَّ الجماعةَ هي الدينُ ذاتُه! ولا يَعنِينا الحكم علىٰ سريرته فنقول قَصَدَ أو لم يَقْصِدْ، إنَّ ما يعنينا النتائج. وقد كان النتاج أنْ تَرَسَّخَ في نفس الواحد من أبناء الجماعة أن جماعته هي الإسلام، فعندما أصدر محمود فهمي النقراشي (رئيس وزراء مصرَ آنذاك) قرارًا بحلِّ جماعة الإخوان عام ١٩٤٨م علىٰ إِثرِ اتِّهام الجماعة بسلسلةٍ من أعمالِ العُنف، كان الثَّمَن اغتياله علىٰ يد أعضاء التنظيم السريِّ للجماعةِ.

(١) رسالة «دعوتنا»، من (رسائل الإمام حسن البنا)، نقلا عن (الموسوعة التاريخية الرسمية لجماعة الإخوان المسلمين) علىٰ شبكة الإنترنت.

أما سيِّد قطب، فإنَّ نُصوصَهُ واضحة كما سَلَفَ وبيَّنَّا، وكما سنُبيِّن في مواضعَ تاليةٍ مِنَ البحث، فجماعَتُهُ هي العُصبةُ المُؤمِنَةُ، بينما سائر الناس هم جماعةُ الجاهِلِيَّةِ. وتحولت الفكرة من الاصطفاء إلىٰ الاحتكار التام للحقِيقَةِ، فأصبحت المُفَارَقَةُ بين الفريقين لا تقبلُ المُصالحة أو الالتقاء كما ذكَرَ في نصوصه.

وتَتَجلَّىٰ خطورَةُ هذه الفكرة حين تتحول من مجرد (فكرة) إلىٰ (حركة)، يرىٰ أصحابها أنَّهَا حركةَ الإسلامِ ذاتَه، فمخالفتها رفض للإسلام، ومواجهتها معاداة للإسلام، والاعتداء علىٰ أفرادها اعتداء علىٰ دين الله، يبيح لهم اتخاذ كل وسيلة لرد الهجوم واستكمال المسيرة. نرىٰ ذلك في اعترافات سيِّد قطب، وفي اعترافات من عاصروه من قيادات الجماعة. في اعترافاتهم نجدُ الخطَّ الفاصلَ بين ذوات الأشخاص وبين ذات الدِّين قد زال بالكُلِيَّة، فالدِّين هم، وحركته هي أفعالهم، ومسيرته لا تكتمل إن صدر قرار بحل هذه الجماعة أو تلك. يتناسون أن نعمة الله قد تَمَّتْ، ورسالته قد بُلِّغَتْ كأتَمِّ وأوفىٰ ما يكون البلاغ علىٰ يد سيدنا محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنَّ الله قد ارتضىٰ لنا الإسلامَ دِينًا.. فمن ذا الَّذِي يقدِرُ أن يطفئَ نورَ الله بعدما أتمَّهُ؟

يقول سيِّد قطب في اعترافاته:

«كُنَّا قد اتفقنا علىٰ استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم، أو إقامة النظام الإسلامي، وفي الوقت نفْسِهِ قررنا استخدامَهَا في حالة الاعتداء

علىٰ هذا التنظيم، الَّذِي سيسيرُ علىٰ منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق، وإنشاء قاعدةٍ للإسلام في المجتمع، وكان معنىٰ ذلك البحث في موضوع تدريب المجموعات التي تقوم بِرَدِّ الاعتداء وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك»[1].

تأمَّلْ - عزيزي القارئ - الكلمات السابقة لتضع يَدَكَ علىٰ مَكمَنِ الْخَلَلِ. هذه الكلمات كَتَبَهَا سيِّد قطب في مَعرِض الدِّفَاعِ عنْ نَفسه، ولِتَبرِيرِ عُنفِ الجماعة بأنَّه رَدٌّ علىٰ اعتداءِ الدَّولة، وهذه الوثيقة - بالمناسبة - متداولة بِكَثرَة هذه الأيام بين شباب الإخوان، ويَستَقُون منها منهج سيِّد قطب لردِّ اعتداء الدولة عليهم حسبما يقولون. لِنطرحَ بعض الأسئلة بعد تأمُّل الكلمات:

١- هَبْ أنَّنِي صاحب فكرٍ ممتازٍ، أرىٰ أنه يُنقذ بلادنا من حالها المتردي ويضعها في مصافِّ الدِّوَل العِظام، هَبْ أنَّنِي أحمل كلَّ الخير بداخلي لمستقبلِ وطني، هَبْ أنَّنِي برئٌ نقيٌّ لا مطامع لي، هل يبيح كل ما سبق أن أقوم بتكوينِ جماعةٍ، أزودها بالأسلحة (الَّتِي أُهربها عبرَ حدود الدولة وأقوم بتخزينها بالمخالفة لكل القوانين الْمُتعارَف عليها في العالم بِأَسرِه كما يعترف سيِّد قطب وعلي عشماوي وغيرهم)، وأكون من خلال أفرادها جيشًا موازيًا لجيشِ دولتي، وأُلَقِّنهم تدريبًا عسكريًا سِرِّيًّا، وأتلقىٰ الأموالَ من أطراف متعددةٍ من بلاد مختلفة (لاشك أنَّ لكُلِّ متبرع دوافعه) لتمويل كل ذلك؟

(١) لماذا أعدموني، ص ٢٨.

٢- يبدو مِن كلمات سيِّد قطب وَمِنْ أفعال جماعته أنَّهم يبيحون ذلك، فعلىٰ أي أساس؟ وهل يُباحُ لِكُلِّ صاحب فكر، مثلما يبيحون لأنفسهم، أن يُكوِّنَ جماعةً مسلحةً يواجه بها المجتمعَ والدولةَ إذا عرقل النظامُ الحاكمُ انتشارَ فَكرِه، أم أنَّ هذا حق حصري له ولجماعته؟ وإذا جعلناه حقًّا لكلِّ واحدٍ، فماذا يتبقىٰ لَدَيْنَا من هَيكلِ المُجتمعِ وقد تحوَّل أفراده إلىٰ عصابات متناحرة تمارس البلطجةَ باسمِ الفكرِ؟

٣- يبدو كذلك أنهم يبيحون هذا لجماعتهم حصرًا، لأنهم يَرَونَ الآخرين - كُلَّ الآخرين - أهل جاهلِيَّةٍ وضلالٍ، ويجب محاربتهم ومواجهتهم، بكلِّ الوسائل المُتَاحة ولكن بالتدُّرجِ حَسبَما تقتضي المَرْحلَةُ! فهم كما يقول سيِّد قطب يُنشِؤُون قاعدة للإسلام!

هذا هو مربط الفرس، ومَكمَن الخَلَلِ، وأصل البلاء!

وجاء التفعيل، وبدء التخطيط لاستخدام هذه القوة التي أعدوها للدفاع، حين رأوا اعتداء الدولة عليهم، فخططوا لاستباحة القتل وتدمير منشآت الدولة باعترافِ سيِّد قطب[1]، دون مبالاة بالضرر الذي يلحق بالناس من وراء أفعالهم، وحجتهم في ذلك أن الإسلام في خطر، طالما أن جماعتهم في خطر.

وبعد سيِّد قطب، توالت العُصَب بغير انتهاء إلىٰ اليوم، وقد زعمت

(١) انظر ما كتبه سيِّد قطب تحت عنوان (خطة رد الاعتداء علي الحركة الإسلامية) في وثيقة (لماذا أعدموني) لمعرفة تفاصيل الخطة كاملة.

كل واحدة لنفسها احتكار الإيمان في مواجهة الجاهليَّة، وانبرت تصطدم وتملأ الأرض تخريبًا وتفجيرًا وسفكًا لدماء الأبرياء، في حالة من التلبيس والتزييف والخبل التام.

❁❁❁

وننتقل الآن إلىٰ مناقشة النقطة الثانية في هذا المطلب، والتي تدور حول مفهوم (الفرقة الناجية).

لقد صُكّ هذا المصطلح استلهامًا من الحديث النبوي الشريف المعروف بحديث افتراق الأمة، والذي ورد بصيغ متعددة، نورد منها:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تفرَّقتِ اليَهودُ علَىٰ إحدىٰ وسبعينَ فرقةً وتَفترقُ أمَّتي علَىٰ ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً**» [ابن ماجه].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تفرَّقَتِ اليهودُ علىٰ إحدىٰ وسبعينَ فِرْقَةً، أوِ اثنتينِ وسبعينَ فِرْقَةً والنصارىٰ مثلَ ذلِكَ، وتفْتَرِقُ أمتي علىٰ ثلاثٍ وسبعينَ فِرْقَةً**» [الترمذي].

٣- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي حديثه: «**قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي**» [الترمذي].

٤- عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن بني إسرائيل افترقت علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة؛ وإن أمتي ستفترق علىٰ ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، إلاّ واحدة، وهي الجماعة**» [ابن ماجه].

٥- عن أبي أمامة الباهليِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**افترقت بنو إسرائيل علىٰ إحدىٰ وسبعين فرقة، أو قال: علىٰ اثنتين وسبعين فرقة، وتزيد هذه الأمة فرقة واحدة، كلّها في النار إلا السواد الأعظم**» [الطبراني].

ولسنا هنا بصدد إجراء دراسة نقدية للحديث من حيث السند والمتن، ولكننا نشير إلىٰ بعض النقاط نوجزها فيما يأتي:

١- اختلف العلماء حولَ متن الحديث، فمنهم من قبله، وهم الغالبية، ومنهم من ضعَّف زيادة «**كلها في النار إلا واحدة**»، كابن حزم. وقد أخذ برأيه بعض العلماء في العصر الحديث.

٢- الذين قبلوا متن الحديث كاملًا، فسروا قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أمتي**» علىٰ أحد المعنيين:

المعنىٰ الأول: أن المقصود بالأمة في قول النبي «**أمتي**» هو أُمَّة الدَّعوة، لا أُمَّة الإجابة، وبذلك يكون الافتراق المقصود هو افتراق البشرية بأجمعها منذ بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ يوم القيامة.

المعنىٰ الثاني: أن المقصود بالأُمَّة هو أُمَّةُ الْإِجَابة، أي أُمَّة المسلمين، وهو ما ذهبت إليه الغالبية.

٣- إن الذين حملوا معنىٰ قوله «**أمتي**» علىٰ أنها أُمَّة الإجابة من أهل العلم لم يذهبوا إلىٰ تفسير الحديث بتكفير كل الفرق ماعدا واحدة، وذهبوا أن قول النبي «**أمتي**» يعارض تكفيرهم، فذكروا أن دخول النار لا يستلزم الكفر.

ومن المفيد هنا إيراد تعليق الشيخ (ابن تيمية) تحديدًا علىٰ الحديث، ذلك لأن أفراد الجماعات التكفيرية المعاصرة كثيرًا مايتشدَّقُون بفتاويه مِن بين جميع المذاهب الفقهيَّة الإسلاميَّة، فماذا قال ابن تيمية في هذا الحديث؟

«فمن كَفَّر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، مع أن حديث «الثنتين والسبعين فرقة» ليس في الصحيحين[1]، وقد ضعَّفَه ابن حزم وغيره، لكن حسَّنَه غيره أو صححه، كما صحَّحَه الحاكمُ وغيره، ورواه أهلُ السُّنَنِ من طرق، وليس قوله «ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة» بأعظم من قوله تعالىٰ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، **وقوله ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾** [النساء: ٣٠]. **وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدُخُولِ من فعل ذلك النار ومع هذا فلا نشهد لمعين بالنار، لإمكان أنه تاب أو كانت له حسنات مَحَتْ سيئاته أو كَفَّرَ الله عنه بمصائبَ أو غير ذلك كما تقدم، بل المؤمن بالله ورسوله باطنًا وظاهرًا الَّذِي قصد اتِّباع الحق وما جاء به الرسول إذا أخطأ ولم يعرف الحق كان أولىٰ أن يعذره الله في الآخرة من المتعمد العالم بالذنب، فإن هذا عاصٍ مستحق للعذاب بلا ريب، وأما ذلك فليس مُتَعَمِّدًا للذنب بل هو مخطئ والله قد**

(١) لا نري الاحتجاج علي ضعفه بعدم وروده في الصحيحين، وإنما هو كلام ابن تيمية ننقله كما ذكره.

تجاوز لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان»[1].

فهو هنا يُشِير إلىٰ أمرين:

الأمر الأول أَنَّ قول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بدخولهم النار لا يعني كفرهم، وضرب المثل بمن يأكلون أموال اليتامىٰ، فإن الله قد توعدهم بالنَّار، ولا يكفرهم أحد. وهذ النقطة في غاية الأهمية، لأن دخول النار شأن أخروي يعتمده الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده، أما في الدنيا فلهم حرمة المسلمين التي شدَّدَ عليها النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في أحاديثه كما سبق وذكرنا.

الأمر الثاني أن الحكم عام، ولا يختص بِمُعَيَّن، أي لا يجوز أن نحكم علىٰ فلان بعينه أنه من أهل النار، فلربما يكون قد اجتهد واخطأ، وإنما مدار المناقشة - إن جرت - يكون حول الأحكام المجردة.

ولم نختص تفسير ابن تيمية بالذكر هنا إلا لنواجه به من يزعمون الأخذ بمذهبه.

٤- إن الَّذِي يعنينا في مناقشة الحديث الشريف أن يجيب أصحاب الفكر التكفيري المتمسحون في حديث النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عن السؤال التالي:

من الذين ذكر النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نجاتهم؟

إنهم: السواد الأعظم، الجماعة، ما عليه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصحابه.

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة القدرية/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ ط ١/ ج ٥/ ص ٢٤٩-٢٥٠.

إن حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمن يتأمله - هو أبلغ إدانة لمناهج هذه العُصب المتشرذمة التي تتناحرُ اليوم باسم الإسلام وتدَّعِي كل واحدة منها أنها العصبة المؤمنة والفرقة الناجية.

يحملنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ السعة، فيخبرنا أنَّ السواد الأعظم ناجون، وهم يقولون بأنَّ السواد الأعظم علىٰ الجاهلية والكفر، ليس اليوم فحسب، بل منذ قرون! وكيف تكون هذه العصبة التي لا وجود لها ويحاولون إيجادها هي الفرقة الناجية، وقد ذكر الحديث أنها السواد الأعظم؟! ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن النجاة مع الجماعة، وهم ينادون باعتزالها وفراقها، وجعلوا من اعتزالها شرطًا لتَحَقُّقِ النَّصر والتمكين، فنادي سيِّد قطب - كما سنبين - بالعُزلة الشعوريَّة، ثم المفارقة التامَّة، وسار أتْبَاعُه علىٰ نهجه، فمارسوا الهجرةَ المَادِيَّة الفعلية، واعتزلوا الناس ولجأوا إلىٰ كهوف الجبال، كما فعل أعضاء جماعة (التكفير والهجرة)، وهذا الخَبَلُ غير مفهوم، ولا نفهم صلته بدين الله ونصرته. ويخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن منهج الفئة الناجية هو ما كان عليه هو وأصحابه، وهم يقولون بأن الجاهلية قد وَثَبَتْ علىٰ الإسلامِ وصحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يملؤون الأرض حينها.

وجملة القول هنا، أنهم بِتَذَرُّعهم بهذا الحديث، يدينون أنفسهم بالغ الإدانة من حيث لا ينتبهون. وليس أدل علىٰ خطأ مزاعمهم من تَفَرُّقِهم فيما بينهم، وتقاتلهم، وزعم كل عصبة منهم أنها علىٰ الحق والأخرىٰ علىٰ

الباطل تستحقُّ القتالَ، والمتأملُ لتاريخ هذه الجماعات يجده سلسلة طويلة مُتَّصلَةً من الانشقاقات التي تَتَوَلَّدُ من خلالها كلُّ جماعة من سابِقَتِها، بعد انقلاب بعضِ الأفرادِ عليها.

مثال ذلك جماعة (التكفير والهجرة)، وهي أَوَّلُ جماعة مصرية تنبثقُ عَن جماعة الإخوان المسلمين، ويطبِّقُ مؤسِّسُهَا مبادئَ الحاكميَّةِ والجاهليَّةِ كَمَا نَصَّ عليها سيِّد قطب، فكفَّرَ الناس جميعًا وانعزل عنهم مُنفردًا بجماعته، التي عَيَّنَ نفسَهُ لَهَا أميرًا، وطالب الناسَ بمبَايعَتِهِ علىٰ الدُّخُولِ في الإسلام. وقد كُنَّا نظن أن هذا الإيغال في الشَّططِ الفكري الَّذِي ذهب إليه شكري مصطفىٰ وجماعته قد أنقضىٰ، إلا أنه من المؤسف أنْ نَجِدَ علىٰ شبكة الإنترنت دَوَائِرَ مِنَ القُدَامىٰ الذين عاصروا هذه الجماعة، وقد انضمَّ إليهم جماعةٌ مِنَ الشَّبَابِ، يُنَادُونَ بِإِحياء فِكْرِ الرُّجُلِ مِن جديد!

أَقرَّ شكري مصطفىٰ بوضوح أن الإسلام يوجد بشكل حصري في جماعَتِهِ، ولنقرأ هذه الفقرة من محاكمته بتهمة قتل الشيخ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«س: وما الَّذِي تقصده بقولك (الإسلام الحق)، هل هو ما تدعو إليه أم أنه مفتوح ومتروك للاجتهادِ وكل امرئ بحسب ما يهديه الله تعالىٰ؟

ج: الإسلام الحق من وجهة نظري هو ما أدعو إليه بالذات، حيث أوقن أنه هو الَّذِي بُعِثَ به مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقصد بذلك أصولَ ما أدعو إليه، والتي بَيَّنتُ أَنَّ مُلخَّصَها ثلاثة موضوعات. **أولها**: وجوب استشراع الحكم

بما جاء من عند الله. **ثانيًا**: ضوابط الإسلام ونواقضه التي ذكرناها. **ثالثًا**: وهو ما سأتعرض له، من وجوب الهجرة والفرار كمنطلق لبلوغ الغاية الإسلامية.

س: وهل تعلم أحدًا من السابقين عليك رأىٰ مثل رأيك تمامًا؟

ج: إن كان المقصود هو محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والمسلمون بعده في زمن الخلافة الراشدة بغير تحديد لزمان مدة الخلافة الراشدة، فإني أجزم بأن ما أقوله وأرتئيه وأعبد الله به هو عين ما كان عندهم، وإن كان القرون التي تلت هذه الفترات فإني أجزمُ أيضًا أن جماعةً منهم لم تَدْعُ أبدًا لما ندعو إليه ولا عملت بما نعملُ به، حيث إنها لو عملت ودعت لوجب لها التمكن»[1].

وهذا الدرب من الخلل الفكري ليس بحاجة إلىٰ نقاش لإيضاح فساده.

ومن الأمثلة[2] كذلك في واقعنا المعاصر ما وقع بين قيادات أكبر جماعتين إرهابيتين من تكفير، وهما القاعدة وداعش. فكل قيادة تزعُم لجماعتها احتكار تمثيل الدين، واحتكار النجاة، وبأنها الطائفة المنصورة وغيرها علىٰ ضلال، والمضحك أَنْ تَصِفَ كُلَّ واحدة منهما بأنها طائفة الخوارج، في جِدَالٍ هَزلي باطل من أساسه.

(١) وثيقة «النص الكامل لأقوال واعترافات شكري مصطفىٰ أمام محكمة أمن الدولة العسكرية العليا (١٩٧٧)» كما وردت في كتاب (الرافضون) لرفعت سيِّد أحمد، ص ١٠١.

(٢) يوجد علي شبكة الانترنت الكثير من الإصدارات المرئية للجماعتين في هذا الأمر.

فهل يا تُرىٰ لو أطَّلَعَ سيِّد قطب علىٰ تلك العصب المتناحرة التي تنخر في أُمَّتِنَا الإسلامية اليوم سيرىٰ في استبانتهم السبيل بتكفيرهم للمسلمين واستباحة دمائهم وإفسادهم في الأرض أَمَاراتَ النَّصرِ والتمكين للأمة الإسلامية؟!

❁❁❁

وَهْمُ الاصطفاء و أَثَرُهُ في رفضِ نَهْجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ:

سَبَقَ وَأَشَرْنَا إلىٰ مَنْهَجِ المودوديِّ ومَنْ بعده سيِّد قطب في تأريخهم لِمَا أسمَاهُ المَودُوديُّ بِوثْبَةِ الجَاهليَّةِ، وما في هذا مِن خَلْطٍ بينَ التَّقْييمِ السِّيَاسِيِّ والحكم علىٰ الاعتقاد الَّذِي مَحِلُّه القلب، فَأَدَّىٰ ذلك بِهِم إلىٰ الانصراف عن النِّتَاج الفكريِّ الثريِّ للحُقَبِ المُتَعاقِبَةِ، بما في ذلك ما حُفِظَ عن جيل الصحابة والتابعين، كما فعل سيِّد قطب في تفسيره علىٰ سبيل المثال، حيث يضربُ بأقوالِهِم في كثيرٍ من المواضعِ عرضَ الحائط ويأتِي بالنَّقِيضَ لها، لا المختلف عنها فحسب.

وإنَّ العُصَبَ قريبةُ العهدِ بالفكر القُطبِيِّ كجَماعَةِ (التكفير والهجرة) بلغتْ في هذا الأمر حدًّا غير مسبوق، حيثُ نَصَّ شُكري مصطفىٰ صراحة علىٰ رفضه لكُلِّ مصادر ومناهج العلمِ الشرعيِّ المُتعارَفِ عليها، وأخذ يُرَدِّدُ هذه العبارة التي يدس من خلالها السم في العسل: قال الله وقال الرسول فحسب. يَقصِدُ بذلك رفض كل نِتَاجٍ علميٍّ للسابقين من العلماء، ولم تكن ساحة الخِطاب الديني المُعاصر تَعرِفُ هذا الضَّلالَ، ولمْ يتجرَّأ هؤلاء

إلا بعد استلهامهم رؤية سيِّد قطب، واتِّبَاعِهم منهجه في تكفير المسلمين، وتسفيه الجهود، والزعم بانقطاع خيرية الأمة.

يقول شكري مصطفىٰ:

«لا إجماع لا قياس ولا مصالح مرسلة ولا رأي صحابي ولا.. ولا.. ولا.. قال الله وقال الرسول فحسب. هكذا كانت جماعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْهَلُ نهلًا مباشرًا من كلام الله وكلام الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وجماعة آخر الزمان لابد أن تسلُك نفسَ الطَّرِيق»[1].

والغريب أنه يتهم علماء القرون المتتالية بالضَّلال والزيغ، ويستفيض في مواضع عديدة من رسائله في الطعن في العلماء، فمن أين بلغه ما قاله الله وما قاله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إن لم يكن من سبيلهم؟ ومن المواقف التي تُظهر هذا التناقض المضحك والمؤسف في آنٍ واحد، ما جاءَ علىٰ لسانِهِ حين سأله القاضي أثناء محاكمته عن رأيه في الإمامين البخاري ومسلم اللَّذَين عرف من خلالهما الأحاديث الشريفة التي يزعُمُ أنه متمسك بها، فصرَّحَ أنه لا يجزم بإيمانهما لأنه لم يتبيَّن منه، إلا أنه لا يرىٰ تعارُضًا بين أن تكون عقيدتهما غير صحيحة وبين أن يتلقىٰ عنهما الحديث![2].

(١) رسالة (التوسمات) لشكري مصطفىٰ، نقلا عن كتاب (تاريخ جماعة الإخوان المسيرة والمصير)، للدكتور رفعت السعيد، ص ٧٠٤، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٥.

(٢) انظر (الرافضون) ص ١٠١، للمزيد حول موقف شكري مصطفىٰ من الإمامين البخاري ومسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي المقابل مِن هذا الرفض التَّام لتقليد أيٍّ من السابقين، إلىٰ حَدِّ وصف التقليد في المذاهب الفقهية بالكفر، نَجِدُ الزَّعم باحتكار الحقِّ الْمُطلق، الَّذِي ينبغي علىٰ الجميع الإذعان له والدخول فيه كما سبق وبينَّا، وهذا التناقض ليس إلا نِتَاج وَهْمِ الاصطفاء علىٰ العالمين.

والمُلَاحَظُ في المقارنة بين فِكْرِ جَمَاعَةِ (التَّكفِير والهجرة) وفكر العُصب المعاصرة مثل (القاعدة) و(داعش)، هو امتناع الأخيرة عن السير علىٰ نهج المُنَظِّر الأول (سيد قطب) في تَجَرُّئِه في نقد عصر الصحابة والتابعين، وكذلك إظهار الخصومة مع علماء المسلمين. ولا يعكس الامتناع الاختلاف الجَذْرِيّ في المنهج، فلو صَحَّ ذلك لما أعلنت قياداتهم أكثر من مرة تأثرها بكتابات سيِّد قطب، أو لألحقوا هذه التزكية لفكره ببعض المراجعات، إلا أن هذا لم يحدُثْ. فالتعمية عن هذه النصوص المجترِئَةِ، يمكن ردّها إلىٰ الدُّور الَّذِي تلعبه الجماعات المعاصرة في الصِّراع (السُّنِي- الشِّيعِي) في المنطقة العربية، وهو الدُّور الَّذِي يضره استحضار هذه النصوص، فهم يُقَدِّمُون أَنفُسَهُم في صورةِ المُدَافِعين عنِ المَذهَبِ السُّنِيِّ في مواجهة المَذهَبِ الشِّيعيِّ، فكيف يَزعُمون ذلك أمام العالم وفي الوقت نفسِهِ يتنصَّلُون مِن علماءِ أهل السُّنَّة والجماعة ويتَّهِمُونَهم بالزيف والتحريف؟!

هذا الدور لم يكن حاضرًا في أوَّلِ نشأة هذا الفكر، فلا عجب أن

يوجد تقاربًا فكريًّا بين رموز الثَّورة الإيرانية الشِّيعية وبين فكر سيِّد قطب، فإن قضيَّة (الحاكمية) التي جعل منها مِحورًا عَقَديًّا رئيسيًّا، يوجد في الفكر الشيعي ما يدعمها، حيث تُمثِّلُ (الإمامة) رُكنًا هامًا من أركان المعتقد الشِّيعي، ومثلت فكرة (ولاية الفقيه العامة) مكونًا رئيسيًّا في مسار الثورة الإيرانية، ولذا ليس بمُستَغرب أنْ نَجِدَ (السيد علي الخامنئي) المُرشِدَ الأعلىٰ الحَالِي للثورة الإسلامية في إيران، يترجم مؤلفات سيِّد قطب إلىٰ الفارِسيَّة، فترجم له عام ١٩٦٦ كتاب (المستقبل لهذا الدين)، وفي خُطوَةٍ جَرِيئَةٍ تؤكد ما بين فكر الرَّجُلين من تَقَارب، صدرت في العام الماضي (٢٠١٩) ترجمة الخامنئي لكتاب (في ظلال القرآن) كاملًا.

وبالنِّسبَةِ لجَمَاعَةِ (التكفير والهجرة)، نَجِدُ أنَّ قُرب عَهدِهَا بسيِّد قُطب، وغياب الصراع السُّني الشِّيعي بصُورته الحالِيَّة في المنطقة، جعل أفكار الجماعة أكثرَ وضوحًا في مُوَافَقَة المُلْهِم الأول، بخلاف العُصَب التكفيرية المعاصرة.

ولقد أَورَدْنَا هذه الملاحظةَ ليتبيَّن للمُطَالعِ إلىٰ أيِّ حَدٍّ مُؤسِفٍ وَصَلَ اغتِرارُ أصحَابِ هذه الجماعات بأنفُسِهِم، وكيف أدَّىٰ بهم التَّخَلِّي عن المنهج الرَّصِين في تلقي علوم الدين إلىٰ حدِّ الطَّعن في عقيدة عُلَمَائِه، وفي الوقت نفسه يَزعُمون زُورًا إحياء منهج السَّلَفِ، الَّذِي ما وصلنا إلا من سبيل هؤلاء العلماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ثالثا: العزلة الشعورية:

لكم دينكم ولي دين.. الاستعلاءُ على المسلمينَ:

بعد أن دعا سيِّد قُطب عُصبته إلىٰ استبانة سبيل المجرمين، والمقصود عنده كل من لم يذهب مذهَبَهُ، ليتثبتوا ويقفوا ضدَّ قومهم عند مُفترق الطُّرق، دعاهم إلىٰ اعتزالهم، وذلك بالاستعلاء عليهم، والانفصال الشعوري والوجداني عن كلِّ ما يحيطُ بهم، إلىٰ حين تتحقق المفاصلة الكاملة، التي تنتهي بتقسيم أهل الوطن الواحد إلىٰ أُمَّتَين بصُورَةٍ واضِحَةٍ: أمة تنصر الله، وأمة تعادي الله!

إن سيِّد قطب في تفسيره لسورة (الكافرون)، يلتفت في الحديث إلىٰ عُصبته المزعومة، في تحريفٍ سافرٍ لمقاصد الآيات القرآنية، ويدعوهم إلىٰ اتخاذ موقف حاسمٍ مع أقوامهم وأهل أوطانهم، وأن ييأسوا من صُلح أو اتفاق أو التقاء في منتصف الطريق، وأن يقولوا كما قال القرآن: لكم دينكم ولي دين!

«وهذه المفاصلة بهذا الوضوح ضرورية للدَّاعية. وضرورية للمدعوين. إن تصوُّرات الجاهلية تتلبس بتصورات الإيمان، وبخاصَّة في الجماعات التي عَرَفَت العقيدة من قبل ثُمَّ انحرفَتْ عنها. وهذه الجماعات هي أعصىٰ الجماعات علىٰ الإيمان في صورته المجردة من الغَبش والالتواء والانحراف. أعصىٰ من الجماعات التي لا تَعِرف العقيدة أصلًا. ذلك أنها تظن بنفسها الهدىٰ في الوقت الَّذِي تتعقد انحرافاتها وتتلوىٰ! واختلاط عقائدها وأعمالها

وخلط الصالح بالفاسد فيها، قد يغري الدَّاعِيةُ نفسه بالأمل في اجتذابها إذا أقرَّ الجانب الصالح وحاول تعديلَ الجانب الفاسد. وهذا الإغراء في منتهىٰ الخطورة! إن الجاهلية جاهلية، والإسلام إسلام. والفارق بينهما بعيد. والسبيل هو الخروج عن الجاهليَّة بجملتها إلىٰ الإسلام بجملته. هو الانسلاخ من الجاهلية بكل ما فيها والهجرة إلىٰ الإسلام بكلِّ ما فيه. وأول خُطوة في الطَّريق هي تميُّز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن الجاهلية: تصورًا ومنهجًا وعملًا. الانعزال الَّذِي لا يسمح بالالتقاء في منتصف الطريق. والانفصال الَّذِي يستحيل معه التعاون إلا إذا انتقل أهل الجاهلية من جاهليتهم بِكُليَّتهم إلىٰ الإسلام. لا ترقيع. ولا أنْصَاف حلول. ولا التقاء في منتصف الطريق. مهما تزيت الجاهلية بزي الإسلام، أو ادَّعَت هذا العنوان! وتُميِّز هذه الصورة في شعور الدَّاعية هو حَجَرُ الأساس. شعوره بأنه شيء آخر غير هؤلاء. لهم دينهم وله دينه، لهم طريقهم وله طريقه. لا يملك أن يسايرهم خطوةً واحدةً في طريقهم. ووظيفته أن يسيرهم في طريقه هو، بلا مداهنة ولا نزول عن قليلٍ من دينه أو كثير! وإلا فهي البراءة الكاملة، والمفاصلة التامة، والحسم الصريح، لكم دينكم ولي دين. وما أحوج الدَّاعِين إلىٰ الإسلام اليوم إلىٰ هذه البراءة وهذه المفاصلة وهذا الحسم. ما أحوجهم إلىٰ الشعور بأنهم يُنشئون الإسلام من جديد في بيئة جاهلية منحرفة، وفي أناس سبق لهم أن عرفوا العقيدة، ثم طال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون. وأنه ليس هناك أنصاف

حلول، ولا التقاء في منتصف الطريق، ولا إصلاح عيوب، ولا ترقيع مناهج. إنما هي الدَّعوة إلىٰ الإسلام كالدَّعوةِ إليه أول ما كان»[1].

ولنا مع النَّصِّ السابق وقفاتٌ:

إنَّ ما يفعله سيِّد قطب في تفسيره لم يسبقه إليه أحدٌ، فلم يجرؤ أشد الغلاة من قبل أن يزعموا أنهم سيدعون لإنشاء الدين من جديد، ولم يجرؤ أحد من قبل أن ينزل آيات الكافرين في المسلمين بهذه الصورة الفَجَّة. ولم يسبقه أحد بالدعوة للتحلي بروح الكِبْرِ والاستعلاء علىٰ الْخَلق بمثل ما يدعو.

إن سيِّد قطب قد أَسَّسَ في نصوصه لتلك الفكرة الآثمة البغيضة التي تتبناها جماعات الفِكْرِ الإرهابي المُسَلَّحِ، من ضرورة مواجهة (العدو القريب)، المُسلمون الذين كفروهم، قبل مواجهة (العدو البعيد) الذين هم سائر الكافرين. انظُر كيف جَعَلَ مِنَ المُسلمين أشدَ خطرًا علىٰ العقيدة مِنَ الذين لم يدخلوا فيها من الأساس. انظر دعوته الموحشة إلىٰ الفُرقة وحتمِيَّة المواجهة والصدام. انظر وتأمل، وضع هذه النصوص وجهًا لوجه أمام كلام سيدنا رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لتحكمه فيها. ثم تأمل مآلات هذه النصوص في أفعال القائمة الطويلة من العُصب الهَمَجِيَّة التي استباحت دماءَ المسلمينَ، وأعراضَهُم، وأموالَهُم. فليعلم الناس أنَّ مثل هذه التأويلات الفاسدة التي تحملها هذه النصوص هي المحرِّضُ الأوَّل علىٰ ما نشهده ونعانيه من تخريبٍ ودمار باسمِ الإسلام، ودين الله من فعلهم براء.

(١) في ظلال القرآن/ ص ٣٩٩٢-٣٩٩٣.

ويرىٰ سيِّد قطب أن تَكُبَّر أفرادِ الجماعة علىٰ غيرهم، واعتزالهم ومفاصلتهم، هو ما يتحقق به التمكين لهم، يقول:

«**ولابدَّ أنْ تستيقنَ العُصبة المُسلمة كذلك أنها لن تنصر ولن يتحقق لها وعد الله بالتَّمكين في الأرض، قبل أن تفاصل الجاهلية علىٰ الحقِّ عند مفترق الطريق**»[1].

ما أشد خطأ سيَّد، وما أبعد مذهبه عن الحق، رحمه الله وغفر له!

إن الإيمان نورٌ، وهو يريده نارًا تحرق ولا تَذَرُ. ورسول الله هو الرَّحمة المهداة للعالمين، فكيف يتفق ذلك مع ظنِّه أنَّ الإيمانَ هو الاستحقار لخلق الله والتكَبُّر عليهم؟ الإيمان أفقٌ رحب، وسفينة تُقِلُّنا إلىٰ برِّ النَّجَاة. تُقِلُّنا رغم عَثَراتنا، ونقائصنا. تُقِلُّنا لأننا لا نُقِلُّ أنفُسَنَا، ولا أحد يُقِلُّ نفسه، ولا غيرَه. وإنَّ سعة رحمة ربنا تشمل جميع خلقه، فلا ينقطع عطاؤُه للمؤمنِ والكافر، فكيف يظنُّ سيِّد قطب ألا تشملُ هذه الرحمة مَن آمنوا بالله ورسوله ويرجون عفو ربهم؟

وكيف يصح أن تقتصر النجاة علىٰ هذا المسلك الوعر الذي يدعو إليه سيِّد قطب؟ إن السُّبل كلها لتيسر بإذن الله لأُمَّة محمد، وأبواب السماء لتفتح لأُمَّةِ محمد، وجنة الخلد لتسكنها بإذن الله أُمَّة محمد، وكذلك المؤمنون في كل زمان المصدقون بِنَبِيِّ زمانهم. أمّا أصحاب هذا الفكر، فإنهم يكذبون الكذبة ويصدقونها، ويزعمون احتكار خير السماوات والأرض لأنفسهم،

(١) في ظلال القرآن/ ص ١٠٥٨.

ولمناهجهم، ولمن تبعهم.

❁❁❁

إما الْانعِزَال وإما العذاب! هل يتحقق النَّصر من الفرقة؟

لا نجد دعوةً صريحة إلىٰ شقِّ صفِّ المسلمين عند أحد كما نجدها في كتابات سيِّد قطب، فلقد دعا عصبته للافتراق عن الجماعة، أو حرضها علىٰ رفض أن تكون جزءا غير متميز عنها، وإلا فلن يكون لهم التمكين! وفي النَصِّ التالي من تفسيره، نرىٰ فَسَادَ التَّأويل وقد أَخَذَ بُعدًا آخر. ففي النُّصُوصِ السَّابِقَةِ رأينا كيف أدىٰ تكفِيرَه للمسلمين، أنْ جعلهم المخاطبين في كل حديث توجه به الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ إلىٰ أهل الكفر، وجعل الحديث متوجهًا له ولعُصبَته في كل حديثٍ توجَّه الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ به إلىٰ المؤمنين. إلا أننا نجدُ في النص التالي نوعًا آخر من التلبيس، فإنه يفسر الآية بخلاف معنىٰ اللفظ! ولا نقصد بمعنًىٰ مختلف عن السابقين، بل نقصد أنَّ تفسيرَهُ يعاكسُ اللفظَ القرآني تمامًا!

يقول في تفسيره :

إنه لا نجاة للعُصبة المسلمة في كل أرض مِن أن يقع عليها هذا العذاب: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾[الأنعام: ٦٥]، **إلا بأنْ تنفصل هذه العُصبة عقديًّا وشعوريًّا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها - حتىٰ يأذن الله لها بقيام «دار إسلام» تعتصم بها - وإلا بأن تشعر شعورًا كاملًا بأنَّهَا هي**

«الأمة المسلمة» وأنَّ ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية. وأن تفاصل قَومها علىٰ العقيدة والمنهج؛ وأن تطلب بعد ذلك من الله أن يفتح بينها وبين قومها بالحق وهو خير الفاتحين.

فإذا لم تفاصل هذه المفاصلة، ولم تتميز هذا التميز، حق عليها وعيد الله هذا. وهو أن تظل شيعة من الشِّيَعِ في المجتمع، شيعة تتلبس بغيرها من الشيع، ولا تتبين نفسها، ولا يتبيَّنُهَا الناس ممَّا حولها. وعندئذٍ يصيبها ذلك العذاب المقيم المديد؛ دون أن يدركها فتح الله الموعود!

إن موقف التَمَيُّز والمفاصلة قد يكلف العُصبة المسلمة تضحيات ومشقَّات، غير أنَّ هذه التضحيات والمشقات لن تكون أشد ولا أكبر من الآلام والعذاب الَّذِي يصيبها نتيجة التباس موقفها وعدم تميزه، ونتيجة اندغامها وتميعها في قومها والمجتمع الجاهليّ من حولها، ومراجعة تاريخ الدعوة إلىٰ الله علىٰ أيدي جميع رسل الله، يعطينا اليقين الجازم بأن فتح الله ونصره، وتحقيق وعده بغلبة رسله والذين آمنوا معهم لم يقع في مرة واحدة، قبل تميز العصبة المسلمة ومفاصلتها لقومها علىٰ العقيدة وعلىٰ منهج الحياة - أي الدين - وانفصالها بعقيدتها ودينها عن عقيدة الجاهلية ودينها -أي نظام حياتها- وأن هذه كانت هي نقطة الفصل ومفرق الطريق في الدعوات جميعا)[1].

نحن هُنا أمام صورة بالغة التشوُّه.

(١) في ظلال القرآن/ ص ١١٢٤-١١٢٥.

فإن الَّذِي يرجو تمكينًا ونصرًا بالفُرقة وَاهِمٌ. وإن الَّذِي يزعم أن النَّجَاة في التَّشَرذم واهم.

وَإِنَّ سيِّد قُطب في تفسيره السابق للآية يأتي بِدعًا مِنَ القول! إنه يناقض نَصَّ الآية، إِذْ يُخبِرُنا الله أنَّ التشيُّع والتشرذم من أَلوَانِ العذاب، فيدعو هو إليهما ويزعم أنَّ فيهما التَّمْكِين!

إِنَّ نظرةً خاطفةً علىٰ تفسير الآية الكريمة في أيٍّ من كتب التفسير تُطَالِعُك بعكس كلامه، وتبعث في نفسك الحذرَ من خطر هذا الَّذِي يحذر الله منه، فإذا به يدعو إليه عُصبته، لكي لا تظل مجرد فئة من فئات المجتمع لا تتميّز عنه!

جاء في تفسير الطبري:

(وإنما عني بذلك: أو يخلطكم أهواء مختلفة وأحزابًا مفترقة. وبنحو الَّذِي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾، الأهواء المفترقة. حدثنا محمد بن الحسين، قال: ثنا أحمد بن المفضل، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ قال: يفرّق بينكم. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسىٰ، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ قال: ما كان منكم من التفرّق والاختلاف. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: ﴿أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا﴾ قال: الَّذِي فيه الناس اليوم من الاختلاف والأهواء وسفك دماء بعضهم

بعضًا. حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ قال: الأهواء والاختلاف. حدثني المثنىٰ، قال: ثنا عبد الله بن صالح، قال: ثني معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ يعني بالشيع: الأهواء المختلفة)[1].

يحذرنا النص القرآني بكلمات واضحة من التفرق والتشرذم، وعلىٰ النقيض منه يخبرنا سيد قطب أن العذاب هو مصير العصبة المؤمنة إن لم تفترق لتتميز عن عموم المسلمين، فكيف يغفل سيِّد قطب، وهو الأَدِيب المُتَمرِّس في اللغة، عن تحذير الله عن التفرق في الآية؟ وكيف يلتبس عليه المعنىٰ ولفظُه بهذا الوضوح؟

إن لم تكن الفُرقة هي العذاب كما يشير نص الآية، فما العذاب من وجهة نظره؟

إنه يتمثل من وجهة نظره في أن تكون عصبته كغيرها من الناس، فيُلحق ذلك بها الهوان! ولا يَخفىٰ علىٰ المُطالع ما في قوله هذا من رغبةٍ نفسيَّةٍ ذاتيَّةٍ في التَّعنصر والتميز، يبرأ منها منهج الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فإن الله لم يَدْعُ إلىٰ تفرق وتشرذم، وكلنا يحفظ قوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم

(١) تفسير الطبري/ دار المعارف/ ج ١١/ ص ٤١٩-٤٢٠.

بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وجاء في تفسيرها لِابنِ العربي:

«**التَّفَرُّق المنهي عنه يحتمل ثلاثة أوجه: الأول: التفرُّق في العقائد لقوله تعالىٰ:** ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾[الشورى: ١٣]. **الثاني: قوله** عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا**»، **ويعضده قوله تعالىٰ:** ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. **الثَّالثُ: تَركُ التَّخطئَةِ في الفُرُوعِ والتَّبَرِّي فيها، ولِيَمْضِ كلُّ أحدٍ علىٰ اجتهادِهِ؛ فَإِنَّ الكلَّ بحبلِ اللهِ معتصم، وبدليله عامل**»[1].

وفي هذه الآيةِ تَذكِرةٌ من الله لطيفةٌ لنا، كيف بدَّل أحوالَنَا، وجعلنا أمَّةً عوضًا عن الشَّراذِم المتناحرة، ولم يحدث هذا بِيَدِ أحَدٍ، ولا بسيفِهِ، وإنَّمَا بقهرِ الله وسلطانِهِ علىٰ القلوبِ، أَلَّفَ بينها، وجعلَ مِنَ الأعداءِ إخوةً، وَأنقذَنَا بفضلِهِ منَ النَّارِ. فلينظُرْ الْمُطالِعُ الفَرقَ بينَ نهجِ اللهِ، وهذا السَّبيلِ الْوَعِرِ الَّذِي يدعُون النَّاسَ إليهِ.

(١) أحكام القرآن/ دار الكتب العلمية/ ط ١/ ج ١/ ص٣٨١.

اعتزالُ مساجدِ المُسلِمينَ ووصفُهَا بالضِّرَارِ:

إنَّ العُزلَةِ التي يُنشِدُها سيِّد قطب مِنَ العُصبة، عُزلةٌ مُوغِلةٌ في الاستيحاشِ من أُمَّة المسلمينَ، ولا نُريد أن نَتجنَّي فَنَجزِم بِالقولِ، لكن كلمات سيِّد قطب في مواضعَ متكرِّرة من كتابِهِ الظِّلال تُوحي بهذا المَعنَىٰ: فَارِقُوا مساجدَ المُسلمين، لأنها زائفة!

يشيرُ إلىٰ هذا المَعنَىٰ في موضعين:

المَوضِعُ الأوَّلُ في تفسيره لقوله تعالىٰ:

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٨٧].

يقول:

«وهذه التَّجربَةُ التي يعرضُهَا اللهُ علىٰ العُصبةِ المُؤمِنةِ ليكونَ لهَا فيها أسوةً، ليست خاصَّةً ببني إسرائيل، فهي تجربةٌ إيمانيةٌ خالصةٌ. وقد يجد المؤمنون أنفسَهُم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمَّتِ الفِتنة وتجبَّرَ الطاغوت، وفسدَ الناس، وأَنْتَنَتِ البيئةُ - وكذلك كان الحال علىٰ عهد فرعون في هذه الفترة - وهنا يرشدهم الله إلىٰ أمورٍ: اعتزالِ الجاهلية بِنَتَنِهَا وفسادِهَا وشَرِّها - ما أمكن في ذلك - وتجمعُ العصبةُ المؤمنة الخِيَرة النَّظِيفة علىٰ نَفسِهَا، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتىٰ يأتيَ وعدُ الله لها. اعتزال معابد الجاهليَّة واتخاذ بيوت العُصبة المُسلمة مساجدَ. تحس

فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي؛ وتزاول فيها عبادتها لربها على نهجٍ صحيحٍ، وتُزاول بالعبادة ذاتهَا نوعًا مِنَ التَّنظِيم في جَوِّ العِبَادةِ الطَّهُورِ)[1].

السؤال: هل كان لبني إسرائيل معابدَ للصلاة قائمة، يتشاركون فيها مع غيرهم عبادة الله، فدعاهم إلى الاعتزال؟

الجواب: لا، بل كانوا مُطارَدين من قِبَلِ فرعونَ، فرَخَّصَ الله لهم بالصلاة في بيوتٍ مُستَتِرَةٍ.

جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس في قوله: (واجعلوا بيوتكم قبلة) ، قال: كانُوا خائفينَ فأُمِرُوا أن يصلوا في بيوتهم)[2].

(إن قوم فرعون كانوا يخافون من بطش فرعون وقومِه إن هُم صَلُّوا في العَلَنِ، فأمَرَهُم الله أن يُصَلُّوا في بيوتٍ لَهُم)[3].

فمَا عَلاقَةُ ما سبَقَ بالاعتِزَال الَّذِي يُلِحُّ عليه إلحاحًا شديدًا؟ ثُمَّ مَا المَقصودُ بمعابدِ الجاهليَّةِ التي يريدُ مِنَ العُصبةِ أن تعتَزِلَها؟! وَإِنَّ المُسلم جُعِلَتْ له الأرضُ مسجدًا، فما معني الانعزال؟

وفي النَّصِّ السابِقِ، نَجِدُ المُنْطَلقات الَّتِي نُنَاقِشُهَا في بحثِنَا هذا، وَيُنَاقِشها آخرُون، وقد تراصَّت في عَقْدٍ مُحكَمٍ، يرتبط كلٌّ منطلق بسابِقِهِ،

(١) في ظلال القرآن/ ص ١٨١٦.

(٢) تفسير الطبري/ ج ١٥/ ص ١٧٢.

(٣) المصدر السابق.

ويؤدي إلىٰ لاحقِهِ. فَقَولُهُ بـ [الحاكميَّة] متمثلًا في اتِّهَامه لِلمُسلمينَ بالاحتِكامِ إلىٰ الطَّاغُوتِ، أدىٰ به إلىٰ رَمْي المُجتمعِ بـ[الجَاهلِيَّةِ]، ثُمَّ إنه يدعو لنشأة [العُصبَةِ المُؤمِنة]، ثُمَّ طالبَهَا بالانْعزَالِ في حالةٍ مِنَ [الاستِعلاءِ بِالإيمان] حتَّىٰ يتحقق لهم النصر و[التمكين].

الموضِعُ الثَّاني في تفسير قوله تعالىٰ:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٧].

يقول:

«هذا المسجدُ - مسجدُ الضِّرَارِ - الَّذِي اتُّخِذَ علىٰ عهدِ رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَكيدةً للإسلام والمسلمين، لا يُرادُ به إلا الإضرار بالمسلمين، وإلا الكفر بالله، وإلا ستر المُتَآمِرين علىٰ الجماعة المُسلِمَةِ، الكائدين لها في الظَّلام، وإلا التعاون مع أعداء هذا الدِّين علىٰ الكيد له تحت سِتَارِ الدِّين، هذا المسجد ما يزال يُتَّخَذُ في صُوَرٍ شتىٰ تُلائمُ ارتقاءَ الوسائلِ الخبيثة التي يتخذها أعداء هذا الدين. تُتَّخذُ في صورةِ نشاطٍ ظاهره للإسلام وباطنه لسحق الإسلام، أو تشويهه وتمويهه وتمييعه! وتُتَّخذُ في صورة أوضاع تَرفعُ لافتةَ الدِّين عليها لِتَتَسَرَّس وراءها وهي ترمي هذا الدين! وتُتَّخَذُ في صورةِ تشكيلاتٍ وتنظيماتٍ وكُتُبٍ وبُحُوثٍ تَتَحدَّثُ

عن الإسلام لتُخَدِّرَ القلقين الذين يرون الإسلام يذبحُ ويمحقُ، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب إلىٰ أن الإسلام بخير لا خوف عليه ولا قلق! وتتخذ في صُوَرٍ شتَّىٰ كثيرة»[1].

ويقول: «ومن أجل مساجد الضرار الكثيرة هذه يتحتم كشْفُهَا وإِنزالُ اللَّافِتَات الخادعة عنها؛ وبيان حقيقتها للناس وما تخفيه وراءها. ولنا أسوة في كشف مسجد الضرار علىٰ عهد رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بذلك البيان القوي الصريح»[2].

إنَّ قصةَ هذا المسجد المشار إليه في الآية الكريمة معروفة في كتب التفسير. ومُلَخَّصُها أن رجلًا يُدعي (أبو عامر الراهب) من قبيلة الخزرج يَدِينُ بالنَصرانِيَّة قد أظهر العداوةَ لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حين قدم إلىٰ المدينة، وتوَجَّه منها إلىٰ مكة وأَلَّب كفار قريش علىٰ حربه، وكان ممَّن اشتدوا في إيذاء رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حتىٰ إنه قد حفر حفائر يوم أحد، وقع في إحداهن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فجرح في وجهه، وكُسِرت رباعِيتُه اليمنىٰ السفلىٰ، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه، ثم فرَّ بعد ذلك إلىٰ هرقل الروم، ليستنصره علىٰ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وكتب إلىٰ جماعة من قومه من الأنصار من أهل النفاق والريب

(١) في ظلال القرآن/ ص ١٧١٠- ١٧١١.

(٢) المصدر السابق.

يَعِدُهُم ويُمَنّيهم أنه سيقدمُ بجيش يقاتل به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويغلبه ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له مَعقلًا يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كُتُبه، ويكونَ مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء، فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ تبوك، وجاؤوا فسألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يأتي إليهم فيصلي في مَسجِدِهم، ليحتجوا بصلاته عَلَيْهِ السَّلَامُ فيه علىٰ تقريره وإثباته، وذكروا أنهم إنما بَنُوه للضُّعَفَاء منهم وأهلِ الْعِلَّةِ في الليلة الشَّاتِيَةِ، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنَّا علىٰ سفر، ولكن إذا رَجَعْنَا إن شاء الله**»، فلما قفل عَلَيْهِ السَّلَامُ راجعًا إلىٰ المدينة من تبوك، ولم يبقَ بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه الوحي بخبر مسجد الضِّرار، وما اعتمده بانُوه مِنَ الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم مسجد قباء الَّذِي أُسِّسَ مِن أول يوم علىٰ التقوىٰ، فبعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ ذلك المسجد مَنْ هَدَمه قبل مقدمه المدينة[1].

من خلالِ ما سبقَ يتبين لنا أنَّ وصفَ هذا المسجد بالضرار يعود إلىٰ ظروف بنائِهِ والدَّوَافِع من وَرَائِهِ، فمن بَنوه هم جماعة المنافقين بالمدينة، بتوجيه من عدوٍ من أعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليكون مركزًا لاستقبالِهِ حين قُدُومِه أولًا، وليكون مقرًّا لاجتماع المنافقين والانطلاق من جمعهم

(١) نقلاً عن تفسير (ابن كثير) بتصرف.

هذا لِيبُثُّوا فِتَنَهُم في صفوف المسلمين ثانيًا. فما وجه التشابه بين هذا المسجد الزائف وبين مساجدنا اليوم؟

إنه يري وجودَ المساجد في بلادِنا، ووجودَ الجامعات والمعاهد التي تُدَرِّس العلوم الشرعية، وسائر مظاهر هويتنا الإسلامية، فَخًّا خَدَّاعًا! إنَّها فَخٌّ ينخدع به الناس ليظنوا أن الإسلام قائم بأرضنا، بينما غاب بالكليَّة كما يزعم! ومن هنا فإنه يدعو إلىٰ إزالة اللافتات الخادعة عنها، وسلبها هويتها الإسلامية، وإظهار حقيقتها المناوئة للإسلام.

هذه الدعوة لاعتزال المسلمين، في سياق ذكر مسجد الضرار تكشف عن نظرة سيِّد قطب للمسلمين من أهل وطنه، فَهُمْ في أفضل أحوالهم حين يترددون علىٰ المساجد، وحين يدرسون العلوم الشرعية، وحين يناقشون شؤون المسلمين ليسوا سوىٰ جماعة من المنافقين، يجدر بالعُصبة المؤمنة اعتزالهم علىٰ أساس العقيدة، والسعي لإزاحتهم من المشهد الإسلامي.

ولقَدْ تلَقَّفت الجماعات التكفيرية مفهومَ مساجدِ الضِّرار من النُّصوصِ السَّابقة، وتوسَّعَت فيها، وألَّفت فيها الرسائلَ والكتبَ، فنَجدُ جماعةَ (التكفير والهجرة) تُحرِّم صراحةً الصلاة في مساجد عموم المسلمين من غير الجماعة.

ولا يقتصر الأثر علي تخوين المسلمين، والإساءة إلىٰ مساجدهم، فإنَّ فكرةَ مساجد الضرار- كسائر أفكار سيِّد قطب- جاءت ترجمتُها الحركيَّة علىٰ يد أصحابِ العُصَبِ التكفيرية في صورة دَمَويَّةٍ مِن استهداف مساجد

المسلمين، واستباحة حرمتها، وحرمة دماء المسلمين المصلين، كما حدث في مجزرة (مسجد الروضة)[1] بشمالِ سَيناء، وغيرها من الوقائع المُمَنْهَجةِ من استباحة المساجد يد جماعة (داعش). وهم يُقْدِمُون علىٰ كل ذلك بدم بارد، كتطبيق لمفهومهم عن (العُصبة المؤمنة)، إذ يرون أنفسهم عُصْبةَ الإسلام وغيرهمَ عُصبةَ الكفرِ. ولا يدرك هؤلاء الجهلة أن هذه الأفعال الوضيعة لا يقبلها الله في حق خلقه، مسلمين كانوا أو غير ذلك.

❁❁❁

(١) هجوم مسجد الروضة (هجوم بئر العبد) وقع في ٢٤ نوفمبر ٢٠١٧، هجوم مسلح استهدف المصلين بمسجد يقع بقرية الروضة بمحافظة شمال سيناء أثناء صلاة الجمعة، وأسفر عن استشهاد ٣٠٥ مصليًا من بينهم ٢٧ طفلًا، و١٢٨ مصابًا، وكانت العناصر التكفيرية التي نفذت الهجوم ترفع علم داعش.

الفَصلُ الرَّابِعُ
مَنَابِعُ الخَلَلِ

إنَّ الخلـلَ البيِّـن في فَهْمِ رُوَّاد الفكر التكفيري لنُصُوصِ الدِّين ومقاصدها، يمكـن رَدُّه إلـىٰ عوامـلَ كثيـرة. ولكننـا نقتصـر هنا علىٰ ذكـر عامِلَيـن جوهريَّيْن، نَجِدهُمَهـا في أحاديثهـم جميعًـا، بـل وفي المَيـلِ الفِكْـريِّ، والطبيعـة النفسـيَّةِ للمنتميـن إليهـم مـن الشَّبَاب في عصرِنَا.

العاملُ الأولُ: الانعزال في فَهْمِ النُّصوصِ الدينية عَنْ نتاج علماء المسلمين:

نجـد هـذا واضحًـا جليًّـا في كتابـات كلٍّ مـن المودودي وسَيِّد قطـب. فأما المـودودي، فرأينـا كيـف يزعـم بـأن معـاني القـرآن الجوهريـة ظلـت غامضـة لقـرون، منكـرًا بذلـك جهود مئـات العلماء علىٰ مَـرِّ التاريخ الإسـلامي في النَّظَرِ في النَّـصِ القُـرآني، فَمَضَـىٰ يفسِّـرُ القـرآنَ بِمَعـزِلٍ عـن جهـودِ السَّـابقين، وهـي جهـودٌ لهـا مـن الأصَالـة مـا يَمتـدُّ إلـىٰ عصـر النُّبُـوَّة والصحابـة.

ورأينـا ذلـك أيضًـا في تفسـير سيِّد قُطب الَّـذِي تحـرَّرَ فيه لا مِـنَ القيود كما يقـول عـن نفسـه، بـل مـن قواعـد الانضبـاط في الفَهْـمِ، فأنـزلَ آيـاتَ الكافريـنِ في المؤمنيـنَ، وفسَّـر بعكسِ مقتضـىٰ اللفـظ القُـرآني في بعـض المواضعِ كمـا رأَيْنَا، وقـد ذكـر بنفسِـه منهجَـهُ هـذا في مقدمة تفسيره فيقول:

«كل ما حاولتُهُ ألا أُغرِق نفسي في بُحوثٍ لُغويَّةٍ أو كلاميَّةٍ أو فقهيَّةٍ تحجب القرآن عن رُوحِي، وتحجب روحي عن القرآن» فقد جعل من القرآن مصدرَهُ الأول ولا يعود لغيره إلَّا لأجل الاحتجاج والتوثيق هذا من جهة، ومن جهة أخرىٰ فإنَّه قد تجنَّب الخوض في المباحثِ اللُّغويَّة والكلاميَّة والفقهيَّة لا لشيء إلاّ ليبقىٰ اتِّصَالُهُ بالنَّص القرآني مستمرًا وحتىٰ لا يمنع ذلك كلُّه من التلقي المباشر والصحيح لرُوح القرآن وأهدافه وتوجيهاته.

ويقول كذلك في كتابه (التصوير الفني في القرآن):

(ودخلتُ المعاهدَ العلمية، فقرأتُ تفسيرَ القرآنِ في كتبِ التَّفسِير، وسمعتُ تفسيرَه من الأساتذة، ولكنني لم أجدْ فيما أقرأُ أو أسمعُ ذلك القرآن اللذيذ الجميل الَّذِي كنت أجده في الطُّفُولَةِ والصِّبَا، وأسفاه لقد طُمِسَتْ كلُّ معالِم الجِمَالِ فيه، وخلا من اللذَّة والتَّشوِيق. ترىٰ هما قرآنان؟ قرآن الطفولة العذب المُيَسَّر المُشَوِّق، وقرآن الشباب العَسر المُعقَّد المُمَزَّق ؟أم إنّها جناية الطريقة المتبعة في التفسير. وعدت إلىٰ القرآن أقرأه في المصحف لا في كتب التفسير. وعدت أجد قرآني الجميل الحبيب)[1].

وفي النصوص السابقة، تَتَّضحُ تمامًا معالم تعامُلِهِ مع النَّص القرآني، الَّذِي يتسم بالانفصال والانعزال وغض النظر عن مناهج العلماء في تناوله.

(١) التصوير الفني في القرآن/ دار الشروق/ ط ١٧/ ص ٨.

العاملُ الثَّاني: العنصريَّةُ النفسيَّةُ، والرَّغبَةُ في التَّمَيُّز:

إن سيِّد قطب جعل (الاستعلاء)[1] سمةً أصيلةً من سمات العُصبةِ المؤمنةِ، فيرسخ في نفوس اتباعه، أنه لابد لهم أن يكونوا في حالةٍ من الشُّعُورِ الدَّائِمِ بالاسْتِعلاءِ علىٰ غيرهم، يقول في كتابه «معالم في الطريق»:

«ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين..

أول ما يتبادر إلىٰ الذهن من هذا التوجيه أنه يَنْصَبُّ علىٰ حالة الجهاد الممثلة في القتال. ولكن حقيقة هذا التوجيه ومداه أكبر وأبعد من هذه الحالة المفردة، بكل ملابساتها الكثير. إنه يمثل الحالة الدائمة التي ينبغي أن يكون عليها شعور المؤمن وتصوره وتقديره للأشياء والأحداث والقيم والأشخاص سواء. إنه يمثل حالةَ الاستعلاء التي يجب أن تستقرَّ عليها نفسُ المؤمنِ إزاء كل شيء، وكل وضع، وكل قيمة، وكل أحد، الاستعلاء بالإيمان وقيمه علىٰ جميع القيم المنبثقة من أصل غير أصل الإيمان. الاستعلاء علىٰ قُوىٰ الأرض الحائدة عن منهج الإيمان. وعلىٰ قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان، وعلىٰ تقاليد الأرض التي لم يصغها الإيمان، وعلىٰ قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان، وعلىٰ أوضاع الأرض التي لم يُنشئها الإيمان»[2].

(١) للمزيد حول هذا المنطلق، انظر بحث (الاستعلاء بالإيمان) للباحث (شعيب حبيلة)، من إصدارات مبادرة سند، ٢٠١٩.

(٢) معالم في الطريق/ ص ١٦٣.

فهو هُنَا يأتي بعادَتِه المُحَبَّبة في نفي الْمَعنىٰ المتواتر في تفسير الآية، ويفسرها من عِنْدِ نفسه بحالة نفسيَّةٍ دائمةٍ من التعالي، علىٰ كل مخالف لهم.

وإن هذه الحالة من الاستعلاء، لا تخطئها العين في التعامل مع المنتمين لجماعة سيِّد قطب وغيرها من الجماعات التي تسير علىٰ نهجه.

فإنه يرشدهم أنَّ أول الطريق هو الاستعلاء علىٰ الواقعِ الجاهليِّ (الَّذِي هو في الحقيقة واقع المسلمين الذين جهَّلَهُم)، وأن يقتنع ألا سبيل للالتقاء، أو المصالحة، أو التعاون، فالاستعلاء يجب أن يكون حالة مستمرة، والصدام حتمي، إنها دعوة عنصرية تتلبس بمبادئِ الدِّين، عنصرية تشبه في حدتها، وإصرارها، وإطلاقها، الحركات السياسية العنصرية التي ابتُلِيَت بها البشريَّةُ في العصر الحديث، كالنازية والصهيونية، وغيرها، التي لا ترىٰ لنفسها حياةً سوىٰ علىٰ أنقاض المخالفين.

في حين يقول المنهجُ الربانيُّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠]، ويقول النبي الكريم:

«لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» [رَوَاهُ مُسْلِمٌ].

خاتمة

الحمدُ لله الَّذِي بنعمته تتمُّ الصالحات..

لقد حاولنا قدْرَ الإمكان أن نستعرض مُنطلق العصبةِ المُؤمنَةِ في أدبيَّاتِ الفكر التكفيري وَفق الرؤية الواسعة لمنطلقات التكفير، وعلاقاتها وترتباتها، وأن نضع أيدينا علىٰ بعض سماتها كما أرادها من نَظَّروا لَهَا، وأن نَقِف علىٰ أوجه العَوَارِ، في منهج التناول، وفيما ترتب عليه من نتائج.

فإذا أردنا استخلاص الخطوط العريضة لبحثنا، وأهم النتائج التي وصلنا إليها من خلاله، نقولُ:

١- الفكر التكفيريُّ سلسلة متصلة من الأفكار، التي تتلبس ظاهريًا بألفاظ مستمدة من النصوص الدينيَّة، إلا أنه قد تم تزييف دَلالاتها، وتزييف مقاصد الشرع الشريف من ورائِهَا، مما أفضىٰ إلىٰ هذا النِّتاج المُشَوَّه.

٢- مفهومُ (الحاكمية) هو حَلَقَةُ الابتداءِ، ولقد حاول مُنَظِّرُوا هذا الفكر، وفي مقدمتهم (سيد قطب)، تلبيسهُ علىٰ العوام، بإيهام من لا دراية لهم أنَّ الحاكميَّة هي الإيمان، وأنَّ جميع الأنظمة القائمة في الدنيا هي الكفر، في استدعاءٍ للنصِّ القُرآني في غير محلِّه، وأرادوا بذلك أن يحرقوا المجتمع بألهبةِ التَّكفِير، وأطلقوا الحكم الفاسد علىٰ العالم بأسره بأنه عالم (جاهلي) لا وجود للإسلامِ فيه.

٣- (العُصبة المُؤمنة) هي العنصرُ الحركيُّ في هذه السلسلة، وهي ذُروة السنام، وبُغيةُ القاصد من وراءِ هذه الأفكار، فلولا قيام جماعة من الناس بخدمة هذا الفكر لكان قد اندثرَ مع أصحابه، إلا أن اعتناق الجماعات له، وانطلاقها في تنفيذ ما يُملِيه عليها، هو ما عمل علىٰ استمراره، بل وتُطوِّرُهُ وتوسُّعُه، بممارسَةِ العُنفِ الفِكرِيِّ والإرهاب المُسَلَّح.

٤- مفهومُ (العُصبَةِ الْمُؤمِنَةِ) ليس مفهومًا إصلاحيًا في داخل البيت المسلم، وإنما هو مفهوم أرادَ به أصحابه أن يقوضوا هذا البيت القائم، ويبنوا علىٰ أنقاضه عصبتهم المزعومة وفق أفكارهم الفاسدة، فهم يرون أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إضاعة وقت، في واقع يسعون لاجتثاثه من جذوره.

٥- استدعاء مصطلح (الفرقة الناجية) هو أحد وسائل هذه الجماعات في تبرير أوهامها بالاصطفاء واحتكار النجاة، وقد بيّنا اختلاف العلماء في متن الحديث، وبينَّا كذلك أنه بافتراض صحته فإن متنه الَّذِي يمدح السواد الأعظم ويمدح الإجماع والاقتداء بصحابة رسول الله يدينهم أشد إدانة، فهم شراذم متفرقة ومتناحرة، في مقابل السواد الأعظم من المسلمين.

٦- إن هذه العُصَب قد اتخذت منَ الاستكبار منهجًا، ومن الاستعلاءِ علىٰ الخَلْقِ بأسرهم شعارًا، وهم في اعتزالهم للناس أشد خطورة من مخالطتهم، فإنهم لا يمارسون ذلك النوع من الانعزال الهادئ الوديع

المكتفي بالرفض، وإنما هو السكون الَّذِي يسبق العاصفة، والكمون الَّذِي يدبرون من خلاله خطط الهجوم بالقتل والتفجير حينَ تَحِين اللَّحظَة المناسبة.

٧- إن رأسَ الشُّرور هو التخلي عن المنهج العلمي في التعامل مع النصوص الدينية، والانفصال عن حلقة الجهود المُتَّصِلة لعلماء المسلمين، فإن أصحاب الفكر التكفيري لم يقدموا علىٰ تفسيراتهم الشاذة، إلا بعد طعنهم في أهلِ العلم، واستخفافهم بالمناهجِ العلميَّة في التعامل مع النُّصوص الدينية، فأخذوا يفسرونها وفق الأهواء، وقد زعمت كل عصبة أن ما وافق هواها هو الحق.

ولا يزال الأمر في حاجةٍ لمزيدٍ من البحث، وإلىٰ استكمال تفنيد لَبنَات الصرح التكفيري، فإن ما تشهده أمَّتُنا الإسلامية، وما تشهده أوطاننا الغالية، علىٰ يد أصحاب هذا الفكر من سَفكِ دِمَاءٍ، وفسادٍ في الأرض، يتطلب منَّا أن نحشد كل الجهد لمواجَهَتِه. ونسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يُعين كلَّ قائم في الصف، وأن يوفق الجهود، ويجعلها خالصة لوجهه عز وجل.

والصلاة والسلام علي سيدنا رسول الله، وآله وصحبه أجمعين.

تم بحمد الله

الفهرس

نبذة عن مؤسسة طابة ٥
نبذة عن مبادرة سند ٥
إصدارات أخرىٰ من مبادرة سند (مطويات) ٦
إصدارات أخرىٰ من مبادرة سند (أبحاث) ٦
مقدمة ٧
الفصلُ الأوَّلُ العُصبةُ المُؤمِنة: اللُّغَة، والدَّلالةُ، والاصطلاحُ ٩
اللُّغةُ ٩
الدّلالَةُ ٩
الاصطِلاحُ ١٢
الفصلُ الثَّانِي المُنطلقاتُ المُمهِّدةُ: الحاكميَّة والجاهليَّةُ ١٧
١- الحاكميَّةُ ١٧
٢- الجاهليَّةُ ٣٢
الفصلُ الثَّالثُ تَبلورُ مفهوم العُصبة المُؤمنة في كتابات سيِّد قطب وَمآلَاتِه ٤٥
تَوطِئَةٌ ٤٥
أوَّلًا: الإيجَادُ، هل العُصبَةُ المُؤمِنةُ دعوةٌ إصلاحيَّةٌ؟ ٤٧
هَل مفهومُ العُصبة تطبيق للحَثِّ الإلهي علىٰ الأمرِ بالمَعروفِ ٥٠
مآلاتُ مفهوم العُصبة المُؤمنة ٥٣
ثانيًا: استبانةُ السَّبيلِ ٥٤
التَّكْفيرُ نُقطَةُ انطلاقٍ ٥٤
رسوخُ مبدأ النَّهي عن تكفيرِ المسلمين في النُّصُوص الدِّينيَّة ٥٩
العُصبَةُ المؤمنةُ: استدعاءٌ لمفهُوم الفرقة النَّاجية وأوهام الاصطفاء ٦٣

وَهْمُ الاصطفاء وأَثَرُهُ في رفضِ نَهْجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ٧٨
ثالثا: العزلة الشعورية ٨٢
لكم دينكم ولي دين.. الاستعلاءُ علىٰ المسلمينَ ٨٢
هل يتحقق النَّصر من الفرقة؟ ٨٦
اعتزالُ مساجدِ المُسلِمينَ ووصفُهَا بالضِّرَارِ...................................... ٩١
الفَصلُ الرَّابعُ مَنَابعُ الخَلَلِ ٩٨
العاملُ الأولُ: الانعزال في فَهْمِ النُّصوصِ الدينية ٩٨
العاملُ الثَّاني: العنصريَّةُ النفسيَّةُ، والرَّغبَةُ في التَّمَيُّزِ........................ ١٠٠
خاتمة.. ١٠٣
الفهرس.. ١٠٧

ملخص البحث

يجئ هذا البحث كحلقة وصلٍ، في سلسلةٍ من الأبحاثِ، الَّتِي تتناولُ منطلقَات الفكر التكفيريّ بالتَّفنِيد، والنَّقد المُستندِ إلَى مصادر العلوم الشرعيَّة المُعتمدة. هذه المنطلقاتُ قد حصرها بعضُ الباحثين علَى سبيل التَّقسِيم والتَّنظِيم في سبعةِ منطلقاتٍ: الحاكميَّة، والجاهليَّة، والولاء والبَرَاء، والفِرقَة النَّاجية (العُصبَة المؤمنة)، والاستِعلاء، وحتميَّة الصِّدام، والخِلافة والتَّمكِين. وإن بَحْثَنَا هذا يتناول منطلقَ (العُصبَة المُؤمِنة) في سياق ارتِباطه بغيرِه منَ المُنطَلَقات، مِن حيثُ كونُه نَاتج عن بعضِها، أو نقطة انطلاق لغيره من المفاهيمِ

www.sanad.network

facebook.com/sanadnetwork
twitter: @sanadnetwork
youtube.com/sanadnetwork
instagram.com/sanadnetwork

مؤسسة طابة
Tabah Foundation
www.tabahfoundation.org

دار الفقيه للنشر والتوزيع
DAR AL FAQIH
PUBLICATION & DISTRIBUTION

مبادرة سند هي إحدى مبادرات مؤسسة طابة للأبحاث والاستشارات